أزمةُ المُخدِّرات المُتفاقِمَة في الشرق الأوسط ودَورُ نظامِ الأسَد

مرصد الشبكات السياسية والاقتصادية
البرنامج السوري

المحتويات

ملخص الدراسة 3

توصيات سياساتيَّة 4

1. توطئة 5

2. المنهجيَّة 6

2.1 قاعدة بيانات المَضبوطات 6

2.2 قاعدة البيانات الشبكيَّة 7

3. الانتشار، بلدان التَّصنيع والاستِهلاك، وطُرق التهريب 8

3.1 عرض شمولي: انتشار أنواع المُخدِّرات المختلفة في المناطق العربية من آسيا 8

3.2 عرض شمولي: من أين تأتي هذه المُخدِّرات؟ 9

3.3 الحاجة إلى التركيز على الكبتاغون 11

3.4 عمليات حيازة الكبتاغون وطُرق التوصيل إلى أسواق المُستهلكين 11

4. شبكات المخدِّرات في سوريا ولبنان 16

4.1 الإنتاج 16

4.2 الأشخاص والكيانات الرئيسيَّة 17

4.3 التداخل في العقوبات 20

4.4 مركزية بشار الأسد 22

5. تداعياتٌ اقتصادية وسياسية 23

6. الخلاصة 26

المُساهِمون

الباحث الرئيسي: كرم شعار
المُحلِّل الشبكي: وائل العلواني
الباحثان المُساعِدان: ديما مُحمَّد ومُحمَّد عُرواني
مُحرِّرا النص الإنجليزي: تريسي لورنس وألكسندر لانغلوَا
تصميم الرسوم البيانِيَّة والغلاف: هاشم حاج بكري
التَّحقُّق من صِحة المعلومات: إياد حَميد
ترجمهُ إلى العربية: مالك ديرانية
تدقيق لُغوي: صلاح الچيلاني

موَّلته وزارةُ الخارجية وشؤون الكومنولث والتنمية في المملكة المُتَّحِدة

إقرار بالفضل

نشكرُ شركةَ لينكيريوس لدَعمهم هذا المشروع دعمًا سخيًّا ومَنحهم مرصدَ الشبكات السياسية والاقتصادية وصولًا مجانيًّا إلى أدواتهم للتحليل الشبَكي والرسم التفاعلي. ونشكرُ البروفيسور ستيفن هايدمان والأستاذة كارولاين روز لمُراجعتهما التقرير وإضافة مُلاحظاتهما.

ومن الجدير ذِكره أنَّ هذه الدراسة ثَمرةُ مشروعٍ موَّلته حكومةُ المملكة المتحدة، إلا أنَّ وِجهات النَّظر المَذكورة فيها لا تُمثِّل بالضرورة حكومةَ المملكة المتحدة وسياساتها الرسميَّة.

مُلخَّص الدراسة

تعمل هذه الدراسةُ على تـقدير حَـجم مَضـبوطات المُخـدِّرات المُدهِش في الشرق الأوسط مؤخرًا (تحديدًا في المناطق العربـية من آسيا) وارتباط هذه المَضبوطات بفاعِـلين حُكوميِّـين وغير حُكوميِّـين في سوريا، وضرورة جذب أنظار العالم إلى هذه الأزمة. وقد شرعتِ المملكةُ المتحدة والولاياتُ المتحدة والاتحادُ الأوروبي بمُعاقبة مُورِّدين سوريِّـين ولبنانيِّـين في استجابةٍ جُزئـية، بينما ينتـظرُ مُشرِّعُو الولايات المتحدة استجابةً حكوميةً شامِلة. في المقابل، نجدُ أنَّ بعض دول المنطقة أخذتْ مؤخرًا تُفـكِّر فيما لم يكن مُتصوَّرًا قبلُ، ألا وهو تطبيعُ العلاقاتِ مع نظام الأسد، آمِلين أن يتعاونوا مباشرةً مع دمشق كي يَقطعوا دابِـرَ عرض المخدرات من إنتاج وتهريب وترويج.

يُوثِّق هذا البحثُ مُصادرةَ ما يتجاوز المليار حَـبَّةٍ من المُخدِّرات الأمفيتامينية المَعروفة باسمها الشائع "الكبتاغون" خلال الثلاث سنواتٍ الأخيرة فقط، فيما يُشكِّل أعمقَ محاولةٍ _حتى تاريخه_ لـسَبـر أغوار أزمة المُخدِّرات المُتـفَشِّية واكتشاف مدى انتِشار شبكات عرض المخدرات في سوريا، وبدرجةٍ أقل في لبنان. وعلى الرغم من أنَّ كلَّ أنواع المُخدِّرات مَشمولةٌ في البيانات، إلا أن البحثَ يُركِّـز على الكبتاغون.

بنَى الباحثون قاعدتَـيْ بياناتٍ خِصِّيصًا من أجل هذا المشروع. رصدتْ قاعدةُ البيانات الأولى 1,251 عمليةَ ضبطٍ لمُخدِّراتٍ خرجتْ من دولٍ عربيةٍ آسيويَّة أو نُقِلَتْ عبـرها أو وصلَتْ إليها بين عامي 2016 و2022. والبياناتُ المَجموعةُ شاملة، حيث تـمَّ تصنيفُ المَضبوطات إلى فئاتٍ مختلفة على حسب نوع المخدر، الكمية، ودولة المَنشأ، ودولة العبور، والموقع الجغرافي للحِيازة. أما قاعدةُ البيانات الثانية فهي خريطةٌ شبَكِـيَّة للفاعِلين في عرض المُخدِّرات من سوريا ولبنان. وهي تتضمنُ 712 عُـقْـدَة (441 شخصًا و271 كيانًا من غير الأشخاص) مع أوصافٍ تشرحُ أدوارَهم وعلاقاتهم ضمن الشَّبكة. قاعدةُ البيانات هذه بما اعتـمدَت عليه من مصادرَ أولِـيَّة وثانويَّة هي جهدُ التوثيقِ الأشمل في هذا الموضوع حتى اللحظة.

تتكشَّفُ ثلاثُ نتائجَ رئيسيةً من قاعدة بياناتِ المَضبوطات. الأولى: تزايدُ مَضبوطات راتنج القِنَّب (الحشيش)، إلا أنَّ مضبوطاتِ الكبتاغون قد تزايدتْ بمُعدَّلٍ أسرعَ بكثير. الثانية: من أصل 111 عمليةَ ضبطٍ لكلِّ أنواع المُخدِّرات في المنطقة، والتي قامت فيها السلطةُ القائمة على الضبط بالكشف عن دولةِ المَنشأ، فإنَّ 60 ضبطِيةً (54%) جاءتْ من مناطقِ النظام في سوريا، و7 (6%) من لبنان، و5 (4.5%) إما من سوريا أو لبنان. ومعظمُ المَضبوطات التي جاءت من سوريا ولبنان تضمنتْ أكثـرَ نوعين من المُخدِّرات شيوعًا: الكبتاغون والحشيش. إذا ما ركـزنا على الكبتاغون، وهو مُخدِّرٌ اصطناعيٌّ وأكثر ضررًا، فإنَّ 36 من 50 ضبطِية له (72%) قد جاءتْ من مناطق النظام في سوريا. الثالثة، تطورٌ مُقلِقٌ بعَينه في عام 2022، هو أنَّ عددًا أعلى من ضبطيات الكبتاغون جرى داخلَ حدود بُلدانِ الاستهلاك عِوَضًا عن النقاط الحدوديَّة. وقد يُشير هذا _بافتراض ثبات قُدرات السُّلطات على الاعتراض عبر الزمن _ إلى أنَّ كمياتٍ أعلى من الكبتاغون باتت تصلُ إلى المُستهلكين.

تكشفُ قاعدةُ البيانات الشبكِية أنَّ الكياناتِ المُوالِـية للأسد، مثل الفرقة الرابعة المُدرَّعة وشعبة الاستِخبارات العسكرية وحزب الله اللبناني وقوات الدفاع الوطني، مسؤولةٌ عن شطرٍ عظيم من واردات المُخدِّرات من سوريا. يشملُ ذلك تورُّط أعضاءِ تسعةٍ على الأقل من عائلة الأسد المُمتـدَّة. كذلك، فإنَّ فاعِلين في الشمال الشرقي مُموَّلين إيرانـيًّا _مثل قوات الحشد الشعبي العِراقية_ يتـزايدون باضطِراد. يشترك عناصرُ في قوات المعارضة أيضًا في إنتاج المُخدِّرات والتهريب إلا أنَّ أدوارَهم تبقى هامشِيَّة.

من المُـتوقَّع أنْ يُطالِبَ نظامُ الأسد بأثمانٍ اقتصاديةٍ وسياسيَّة مُفرِطة لقاءَ قطع إمدادات المُخدِّرات، فهي شِريان حياةٍ لاقتصادِ النظام وفاعِلين لبنانـيِّين في المنطقة. حيث قدَّرتِ الدراسةُ أرباحَ النظام والفاعِلين اللبنانـيِّين في الفترة ما بين 2019-2022، بالاعتماد على تقديراتٍ بفرضياتٍ مُتـبايـنة، أن يبلغَ متوسط أرباح الكبتاغون وحده 7.3 مليار دولار، وهذا يفوق بكثيرٍ أيَّ مصدرِ دخلٍ آخر شرعِـيًّا كان أم غير شرعِـيّ.

توصِياتٌ سِياساتِـيَّة

يدعم نظامُ الأسد وفاعلون غير حكوميّين يُوالونَه جُـلَّ عملياتِ إنتاج وتهريب الكبتاغون في المناطق العربية من آسيا. وفي ضوء نقصِ المعلومات الحاصل، فإن بوسع النّـظام أن يتظاهرَ بالتعاون مع العالَم في مُكافحة صناعة المخدرات مع استمرارِه بدَعمها. لذا فإنَّ الشراكةَ مع رأس «كارتل» المخدرات من أجل التَّصدِّي لترويجها سياسةٌ غير مُوفَّـقة.

بالمقابل، فإنَّ الحِفاظَ على قنواتِ تواصُلٍ عملياتي بالدرجة الدنيا مع نظام الأسد، قد يُسهِم في فهم كيفية إدارة وتفاعُلِ النظام مع قطاع صناعةِ وتهريبِ المخدرات.

في ظلِّ الأرباح المَهولة التي يَجـنيها نظامُ الأسد من المخدرات، فعلى الأرجح ستكون له مطالبُ غير مَعقولةٍ من أجل إيقاف العمليات فعلًا. الانصياعُ لهذه المطالب _والتي قد لا تكون مالِـيةً بالضرورة_ سيُـقوِّي شوكةَ النظام. تقويةُ شوكة الأسد ستـزيدُ من تَعنُّـتِه في رفض تسويةٍ سياسيةٍ للنِّـزاع السوريِّ بمُوجب معايِـيرَ مُتـفقٍ عليها دوليًّا. إعادةُ الترحيب بالنظام في المجتمع الدوليِّ دون تسويةٍ سياسية عادلة وراسخة سيؤدي إلى العديد من الآثار الإنسانية والأمنية الوخيمة في المنطقة.

بِنـيةُ شبكاتِ المخدرات تجعلها قادرةً على التكـيُّفِ السريع ومنيعةً حِيال محاولات الاستهداف العشوائي. إلا أنَّ استهدافَ أصحاب أدوارٍ مُحدَّدة في الشبكة بعَيـنهم من ضمن فـئات الفاعلين المختلفة، يمكن أن يؤدي إلى عطبِ الشبكة عطـبًا شديدًا.

رغم أنَّ السياساتِ التي تَرمي إلى خَفض الطَّـلَبِ، مثل حَملات التوعية، مهمةٌ للغاية، إلا أن تأثيـرَها في المدى القريب مَحدودٌ نظرًا للطبيعة المُزمِـنة للإدمان.

بالوسع عملُ المزيد من أجل تَضيِـيق الخِـناق على العرض، ومن ذلك:

- التعاونُ مع الفاعلين المَحلـيِّين في سوريا ولبنان للمُساعدة في جمع المعلومات، لـتَحسين فرصِ اعتـراض الشحنات الخارِجَة منها.

- إنشاءُ غرفةِ عملياتٍ مُشتركة من أجل تشجيع تبادلِ المعلومات الاستخباراتِـية وتنسيق جهودِ وكالات إنفاذ القانون في دول العبور والاستـهلاك. بوسع الدول الغربية المُنسجِـمة في مواقفها مثل المملكة المتحدة والولايات المتحدة _والتي تتطـلَّع إلى قطع إمدادِ المخدرات وإضعاف الأسد_ أن تُـقدِّمَ الدعمَ التِّـقَنِـي.

- إنشاءُ مجموعةِ عملٍ من الدول المتأثرة والمُنسجِمة في مواقفها من أجل تبادل المعرفة التِّـقنِـيَّة وتقديم المَشورة والعمل نحو سياساتٍ جَماعية في المجالات الأمنِية والصحية.

- رغم أن تأثيـرَ العقوبات مَحدودٌ إذا وُظِّفَتْ بمعزلٍ عن الأدوات السياساتِـيَّة الأُخرى، إلا أنَّ سلطاتِ فرض العقوبات في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة والاتحاد الأوربي ينبغي أن تُوائم قدرَ الإمكان بين قوائمها المختلفة من أجل تعظيم أثر عقوباتها، الحَـدِّ من التـناقضات فيما بينها، والتقليلِ من فرص التَّـملُّص من العقوبات.

1. توطِئـة

تُقاسي المناطقُ العربية من آسيا أزمةَ مخدراتٍ. فشبكاتُ العرض تتمدَّد والإدمان يتـفشَّى، وسوريا والكبتاغون في بؤرة الأحداث. الكبتاغون هو الاسمُ التجاريُّ لمُركَّبِ المُخدِّرات فينيثايلين هيدروكلوريد، والذي صُنِعَ في بادئ الأمر في ألمانيا الغربية في ستينيات القرن العشرين. وهو أمفيتامين شديدُ الإدمان استُخدِم حينها لمُداواة التغفيق (النوم القهري)، والاكتـئاب، وقصور الانتـباه وفرط الحركة. إلا أنه قد حُظِر استخدام هذا المُخدِّر في معظم البلدان في الثمانينيات بسبب آثاره الصِّحيَّة الضارَّة.[1]

الكبتاغون المنـتشرُ هذه الأيام قد طُوِّر مِن هذا العقار القديم. الفينيثايلين، وهو المكوِّن الأساس للعقار المَوصوف طِبِّـيًّا، لم يعد موجودًا في معظم مَضبوطات المخدرات الآن. لقد استُبدِل بأمفيتامينات مختلفةٍ عديدة ومواد أُخرى. ولهذه الأسباب، يَجدُر النظرُ إلى الكبتاغون الآن على أنه يتألَّفُ من مُنشِّطاتٍ أمفيتامينية بتَركيبٍ كيميائي مُتباين للغاية بحسب الجهة المُصنِّعة.[2] ولذا يجب النظر إلى الكبتاغون على أنه عائلة من المخدرات الأمفيتامينية وليس مُخدرًا واحدًا على وجه الخصوص.

مشكلةُ الكبتاغون الصادر من سوريا قد تطورَتْ لتُصبِحَ هاجِسًا للإقليم والعالم خلال السنوات الأخيرة. إلا أنَّ الجهودَ الأخيرة للتعامل مع ما يجري (مثل العقوبات الغربية المتـزامنة،[3] أو قانون الكبتاغون[4] الصادر في الولايات المتحدة) لم تؤدِّ بعدُ إلى نتائجَ ملموسة، والسبب الرئيسي هو شُحُّ المعلومات. يُعدُّ مشروعُنا هذا مُبادرةً لمَلء هذا الفراغ.

من الأسئلة المتعلقة بالأزمة الراهنة والتي لم تُقدَّم أجوبةٌ شافيةٌ لها: ما أنواع المخدِّرات الأكثر رواجًا في كل بلدٍ عربيٍّ آسيوي؟ كيف تبدَّل ذلك بمرور الزمن؟ ما طُرق التهريب الرئيسية؟ ما هي دول المَنـشأ لكلِّ مخدِّر؟ إنَّ ما نعرفُه عن شبكات عرض المخدرات حتى الآن قاصِرٌ عن الإحاطة بها ويَحولُ دون وضع استراتيجياتٍ شاملة ترمي لمُعالجة منظومة العرض عِوضًا عن الاستهدافِ العشوائـيِّ لبعض عُقَدِها. ومما يَستدعي الاهتمام قُصور فَهمنا عن الإحاطة بالدورِ النسبيِّ للمخدِّرات في تقوية السُّلطات الداعمة لهذه التجارة في بلاد الشام.

للإجابة عن هذه الأسئلة، تُقدِّم هذه الدراسةُ تحليلًا لقاعدتَـي بياناتٍ جُمِعَـتَا لهذا الغرض بين يونيو/حزيران 2022 وأبريل/نيسان 2023. قاعدةُ البيانات الأُولى تُوثِّق مضبوطاتِ المخدرات الخارجة من دولٍ عربية آسيوية أو المَنـقولة عبرها أو التي وصلتْ إلى وجهـتها فيها، بين الأعوام 2016 و2022. قاعدةُ البيانات الثانية شَبَكِيةٌ ترصدُ مُورِّدي المخدِّرات من سوريا وعلى نطاقٍ أضيق من لبنان. فيما يجدُ القارئ في القسم الثاني من هذه الدراسة معلوماتٍ أوفى عن كلِّ قاعدةِ بياناتٍ مُوضَّحًا أوجه القصور ونقاط القوة لكُلٍّ منها.

1- ماريا كاتسيلو، يوانيس بابوتسيس، باناغيوتا نيكولاو، سمير قماز، تشارا سبيليوبولو، سوتيريس أثناسيليس، "إساءة استخدام الفينيثايلين (الكبتاغون) – مشكلات محليّة لمخدِّر قديم أضحى عالمي الانتشار" (بالإنجليزية)، مجلة علم السموم وعلم الأدوية الأساسية والسريريّة، المجلد 119: الصفحات 133-140، https://doi.org/10.1111/bcpt.12584.

2- محمود العبدالله، "التوصيف الكيميائي لأقراص كبتاغون مزيفة مضبوطة في الأردن" (بالإنجليزية)، مجلة علوم الطب الشرعي الدولية، المجلد 152، الأعداد 2-3 (2005): الصفحات 185-188، https://doi.org/10.1016/j.forsciint.2004.08.004.

3- "التصدِّي لتجارة المخدِّرات غير المشروعة والتي تُغذِّي آلة الأسد للحرب" (بالإنجليزية)، Gov.UK، حكومة المملكة المتحدة، 28 مارس/آذار 2023، https://www.gov.uk/government/news/tackling-the-illicit-drug-trade-fuelling-assads-war-machine.

4- ج فرينش هيل، "إتش آر 6265 – قانون الكبتاغون" (بالإنجليزية: مرسوم تشريعي في الولايات المتحدة، 2021-2022، Congress.gov)، https://www.congress.gov/bill/117th-congress/house-bill/6265.

2. المَنـهـجـيَّة

2.1 قاعدة بـيانات المَضبوطات

تُجمِلُ قاعدةُ البيانات هذه مَضبوطاتِ المخدرات الخارجة من دولٍ عربية آسيوية أو المنقولة عبرها أو التي وصلت إلى وجهتها فيها بين الأعوام 2016 و2022.[5] تُوثِّق القاعدةُ 1,251 ضَبطية. 1,100 من هذه الضبطيات أُخِذَتْ من مقالاتٍ إخبارية مُفهرَسة في مُحرِّك البحث غوغل بالعربية ومُستخرَجة بأمر البحث التالي "اسم الدولة، ضبط، مُخدِّر" مع تحديد تاريخ النتائج بعامٍ مُعيَّن.

أثبتَ الباحثون مَضبوطاتٍ أُخرى في قاعدة البيانات بعد مُراجعة المنشورات الصادرة باللغة الإنجليزية. 61 ضَبطِـيَّة من هذه الضبطيات استُـقِيَتْ من تقريرِ معهد نيولاينز الصادر عام 2022 حول الكبتاغون.[6]

لقد حددنا الموقعَ الجغرافيَّ للضبطية والدولةَ الحائزة والسُّلطةَ الحائزة وطبيعةَ المادة المُخدِّرة وكمِّيتها وبلدَ المنشأ وآخرَ دولةِ عبورٍ حيثما أمكن. صَنَّـفنا الموادَّ طِبقًا لتسمياتِ مكتب الأمم المتحدة المَعنـيِّ بالمخدرات والجريمة.

تاريخ النشر	ملخص	تاريخ المصادرة	السلطات الحائزة	الدولة الحائزة	دولة العبور الأخيرة	بلد المنشأ	الموقع الجغرافي للمُصادرة، خط العرض	الموقع الجغرافي للمُصادرة، خط الطول	مُصادرة مَحلّية؟ (داخل الحدود)	فئة المُخدّر	نوعُ المُخدّر	الكـمـيّـة أقراص)	الكـمـيّـة أقراص)	الأدلّـة (عناوين ويب)
2021/4/23	ضبطت الجمارك السعودية في ميناء جدة الإسلامي 5,383,400 حبّة مخبأة داخل إرسالية فاكهة رُمّان قادمة من لبنان.	2021/4/23	الهيئة العامة للجمارك	المملكة العربية السعودية	لبنان	سوريا- لبنان	21.467	39.17427	لا	منشطات أمفيتامينيّة (باستثناء حبوب النشوة)	أمفيتامين	5,383,400	مجهول	مصدر 1 مصدر 2 مصدر 3
2021/1/4	ضبطت شعبة المعلومات في قوى الأمن وشعبة مكافحة المخدرات في الجمارك اللبنانية 861 كلغ من مادّة حشيشة الكيف مخبّأة في براميل شحوم للسيّارات في مرفأ بيروت، بهدف تهريبها إلى إحدى الدول الإفريقية.	2021/1/12	شعبة المعلومات في قوى الأمن اللبنانية وشعبة مكافحة المخدرات في الجمارك اللبنانية	لبنان	مجهول	مجهول	33.90286	35.51771	لا	مخدّرات قنـبـيّة (باستثناء القنـبـيات الاصطناعية)	راتنج القنّب (الحشيش)	861		مصدر 1 مصدر 2
2021/19/9	ضبطت الإدارة العامة للجمارك في أبو ظبي 38.7 كغم من مادة الكريستال المخدّرة مخبأة بطريقة جديدة ومبتكرة داخل حاوية في إحدى الشاحنات.	مجهول	الإدارة العامة للجمارك في أبو ظبي	الإمارات العربية المتحدة	مجهول	مجهول	مجهول	مجهول	لا	منشطات أمفيتامينيّة (باستثناء حبوب النشوة)	ميثامفيتامين	38.7		مصدر 1

لقاعدة بياناتِ المَضبوطات نقاطُ قوةٍ عِدَّة. أولًا: المتغيرات التي تشملُها هي أكثر شمولًا مما تُـبـلِـغُ عنه فُرادى الدول لمكتبِ الأمم المتحدة المَعنـيِّ بالمخدرات والجريمة. نسوقُ بياناتِ الموقع الجغرافي التي جُمِعَتْ لكُلِّ مُدخَلٍ على حِدَة مثالًا على ذلك؛ فهي تمكِّنُ الباحثين من تحديدِ ما إذا كانت الشحنةُ قد ضُبِطَتْ داخل الدولة أو على حدودها.

ثانيًا: هذه البيانات أكثر حداثةً من المصادر الأخرى. على سبيل المثال، فإنَّ السعودية _والتي تدلُّ بياناتُ الضبط التي جُمِعَتْ في هذه الدراسة على أنها الوِجهة الأخيرة الرئيسية للكبتاغون_ لم تُبـلِغ مكتبَ الأمم المتحدة للمخدرات والجريمة عن أيِّ إحصائياتٍ لمضبوطاتِ المخدرات بعد عام 2019. وكذا فإنَّ الحكومةَ السوريةَ توقفَتْ عن إبلاغ المكتب عام 2018. أخيرًا، لم تصلْ مكتب الأمم المتحدة المَعنـيَّ بالمخدرات والجريمة أيُّ بياناتٍ عن عملياتِ تهريبِ مخدراتٍ جرتْ بعد عام 2020 من أيِّ دولةٍ في الجزء العربيِّ من آسيا.

5- على سبيل المثال، لو أنَّ مضبوطاتٍ حِيزت في إيطاليا ولكن وجهتها النهائية كانت المملكة العربية السعوديّة، فإنها ستُسجَّلُ في قاعدة البيانات. على النقيض من ذلك، لو أُبلِغ عن مضبوطاتٍ في إيطاليا ولكن وجهتها النهائية كانت ألمانيا، فإنها لن تُضاف. كذلك لو أن شحنةً ضُبِطت في إيطاليا وكانت صادرة من سوريا، فإنها ستُسجَّل في قاعدة البيانات، ولو أنها كانت صادرة من مِصر فإنها لن تُسجَّل.

6- كارولين روز وألكسندر سدرهوم، "خطر الكبتاغون: ملف تجارة غير شرعيّة، الاستهلاك والواقع الإقليمي" (بالإنجليزية)، معهد نيو لاينز، 4 أبريل/نيسان 2022، https://newlinesinstitute.org/wp-content/uploads/20220404-Captagon_Report-NLISAP-final-.pdf.

أخيرًا، تحرَّى الباحثون عبر قاعدة البيانات التأكدَ من المَعلومات المذكورة في المصادر الكثيرة التي تضافرَتْ حول إثـبات المَـضبوطات، واتَّبعوا في ذلك قواعدَ مُحدَّدة وصارمة. ولـنُدلِّل على ذلك، نُشير إلى أنَّ تحديدَ بلدِ المنشأ لإرساليةٍ ما قد بُنـيَ فقط على التصريحات الرسمية، وقد طبَّـقنا هذه القاعدةَ حتى في الحالات التي أَشارتْ فيها كلُّ المعطيات الأُخرى إلى أن الشحنةَ قد خرجَتْ من بلدٍ مُعينَّ، فلم نَـنُصَّ على هذا البلد.

إلا أنَّ عَيـبين اثنين يَقدحان في قاعدة البيانات هذه. الأول، أنَّ فهرسةَ غوغل لصفحاتِ الويب لا تَطالُ كلَّ الصفحات المحتوية على الكلمات المِفتاحية. وهذا يُعرقِل _في المُحصِّلة_ الجهودَ الرامية لـتَّسجيل كلِّ الضبطيات المنشورة. وإن كُنا نُرجِّح أن المضبوطات التي غفلنا عنها صغيرةُ الحجم، لأن المضبوطات الكبيرة كثيرًا ما يَرِدُ ذكرها وتظهرُ في مصادرَ مُتعدِّدة.

العيبُ الثاني، أنه قد حالَ شُحُّ السلطاتِ الحائِزة بالمعلومات دون إحاطةٍ مُستوفية بحَجم تجارة المخدرات الحقيقي. فعند إبلاغ السُّلطات الحائزة عنِ المضبوطات قد تُغفِل عمدًا أو سهوًا ذكـرَ تفاصيلَ أساسية للحادثة. وهذا قد يشملُ اسمَ المُخدِّر الذي صادرَته السلطات، أو وِجهتَه، أو موقعَ اعتراضِه. لَمَّا كانت الحالُ كذلك، فإنَّ منهجَنا في التحرُّرِ أثناء جمع المعلومات قد غلَّبَ الدِّقَّةَ على الإحاطة والشمول.

كمَّلنا قاعدةَ بيانات المضبوطات الفردية بقاعدةِ بياناتٍ أخرى جمعتِ التصريحاتِ الرسميةَ عن إجماليِّ المَضبوطات خلال مُدد مُعيَّـنة. وقد حوتْ قاعدةُ البيانات هذه 133 مُدخلًا. بلغ عددُ حبوب الكبتاغون في قاعدةِ بيانات المضبوطات الفردية بين عامي 2016 و2022 ما مَجموعُه 1.03 مليار حبة، وبلغ في قاعدة البيانات المجملة 0.79 مليار. وبالتدقيق في هذا التفاوتِ والادِّعاءات في كلِّ قاعدةِ بياناتٍ حسب الدولة والسَّنَة، نكتشفُ أنَّ المجموعتين لا تَخلوان من ثَـغرات. لحُسن الحَظِّ، تُكـمِّل كلُّ قاعدةِ بياناتٍ الأخرى وتمَلؤ فراغاتها، فبعض الدول تُبلِغ عن مَضبوطاتها الفردية فقط وأخرى تُبلِغ عن مجمل المضبوطات فقط، ودول ثالثة تُبلِغ عن كِليهما. استخدَمنا مجموعةَ بياناتِ المضبوطات المُجمَلة كي نُحصيَ مجموعَ عددِ حبوب الكبتاغون التي صُودِرَتْ في كلِّ سَنَة. وبنينا على هذه المجاميع حساباتنا للرِّبح الكُـليِّ لتجارة المخدرات (طالِع القسم 5).

يعتمدُ التحليلُ في الأقسام 3.1 - 3.5 على قاعدةِ بيانات المضبوطات الفردية فقط بسبب ثَرائها بالمعلومات، حيث أنها تحتوي على معلوماتٍ عن المواقع الجغرافية للحِيازة (موقع الضبطية)، والسلطات الحائزة، وبلدان المنشأ، وبلدان العبور.

2.2 قاعدة البـيانات الشبكِـيَّة

جمع الباحثون بياناتِ هذه القاعدة من يونيو/حزيران 2022 وحتى أبريل/نيسان 2023، لـرَسم خريطةٍ تفاعليةٍ للفاعلين (العُـقَد) الذين يُشاركون في عرض المخدرات من سوريا ولبنان. سجَّل هذا العرضُ المَرئِـيُّ أيضًا العلاقاتِ التي تربطُ بين العُقَد المختلفة (الروابط). العقدُ الشبكيةُ إمَّا أن تكونَ أشخاصًا، أو كياناتٍ تجارية، أو مؤسساتِ قطاع عام، أو ميليشيات، أو عِصاباتٍ إجرامية، أو مُنشآتِ تصنيعٍ أو زراعةِ مُخدرات، أو نقاط تهريب.

تُساهمُ بعضُ الخصائصِ في تـمـيـيز نوع العُقـدَة، فمثلًا نستخدمُ تاريخَ الميلاد (للأشخاص) أو تاريخَ التأسيس (للمنظمات). وتتضمنُ العقدُ بياناتِ الموقع الجغرافي عند الإمكان. تصلُ بين العُـقَدِ أنواعٌ شَتَّى من الروابط، ومنها على سبيل المِثال لا الحصر العلاقات العائلية، والصداقات، وعلاقات العمَل الرسمية.

استـقَينا مُعلوماتِ ما قدره 63% من العُقَد، جُزئـيًّا أو كُليًّا، من خمس مصادرَ أولِـيَّة مُوزَّعة في مناطق السيطرة الأربعة في سوريا. جاءتِ المعلوماتُ المتبقية في قاعدة البيانات من مصادرَ ثانوية، مثل المقالات الإخبارية، التحقيقات المُستقلة، أو الاعترافات القضائية (نتكلم هنا عن أعضاء في شبكات عرض المخدرات أقـرُّوا بجُرمِـهم).

7- يشمل ذلك الأراضي التي يُسيطِر عليها نظامُ الأسد، والجيش الوطني السوري، وهيئة تحرير الشام في الشمال الغربي، والإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا في الشمال الشرقي.

عند استخدام مصادرَ أولِـيَّة، ضُمِّـنَتِ المعلوماتُ في الشبكة بعد تَدعيمها بمصدرٍ آخر على الأقل. لا يكشف التقريرُ أسماءَ الأشخاص أو الكيانات المتورطة في عرض المخدرات والتي أُخِذَتْ من مصادرَ أولية، لأسبابٍ قانونية وأسبابٍ تتعلق بالخُصوصية. بالكلام عن المَصادر الثانوية، فقد حمَّـلنا المصادرَ الأصلية عِبء إثبات ادِّعاءاتها نظرًا لحَجم البيانات الضخم؛ يعني ذلك أننا لا نتحمل مسؤوليةَ أيِّ ادِّعاءاتٍ تتضمنُها هذه المصادر.

تشتمل قاعدةُ البيانات على 712 عُقدة (441 شخصًا و271 كيانًا من غير الأشخاص)، إلا أننا حَلَّـلنا 310 عُقَدٍ فقط في هذا التقرير (من الأشخاص 202 ومن غير الأشخاص 128) بعد إزالة الفاعلين الهامشِيِّين والمعلومات الأولية التي لم نَحصُلْ على بياناتٍ تُعـزِّزُها والمعلومات التي ساقتها مصادرُ ثانوية وتَبيَّـن خطأُها. الخريطةُ الشبكية هي الأضخم فيما يتعلق بشبكاتِ عرض المخدرات في سوريا ولبنان.

3. الانتِـشار، بُلدان التَّـصنيع والاستِـهلاك، وطُرق التَّـهريب

3.1 عرضٌ شمولي: انتشار أنواع المُخدِّرات المختلفة في المناطق العربية من آسيا

تُـقاسُ المُخدِّرات بوحداتٍ متباينة (الحبوب، الغرامات، إلى آخر ذلك) وهذا يُشكِّل تحديًا لو أردنا تحليلَ مدى انتشار المخدرات في المنطقة. حتى إذا قِسنا بنفس الوحدة، فإنَّ تباينَ فاعلية كُلِّ مُخدِّرٍ تُصعِّب علينا فهمَ انتشار مُخدِّرٍ مُعينَّ، فبعضُ المخدرات تُستَهلكُ بجرعاتٍ صغيرة وأخرى تُستَهلكُ بجرعاتٍ كبيرة. آخذين بالاعتبار هذين التحديَين، سجَّل الباحثون عددَ ضَبطِيات المخدرات كمؤشرٍ على مدى الانتشار، مُفتـرضين أنَّ كُلَّ أنواع المخدرات عُرضةٌ للضبط بنفس النِّسبة.

الشكل 1: ضبطيات المخدرات -بأنواعها المختلفة- المرتبطة بالمناطق العربية من آسيا

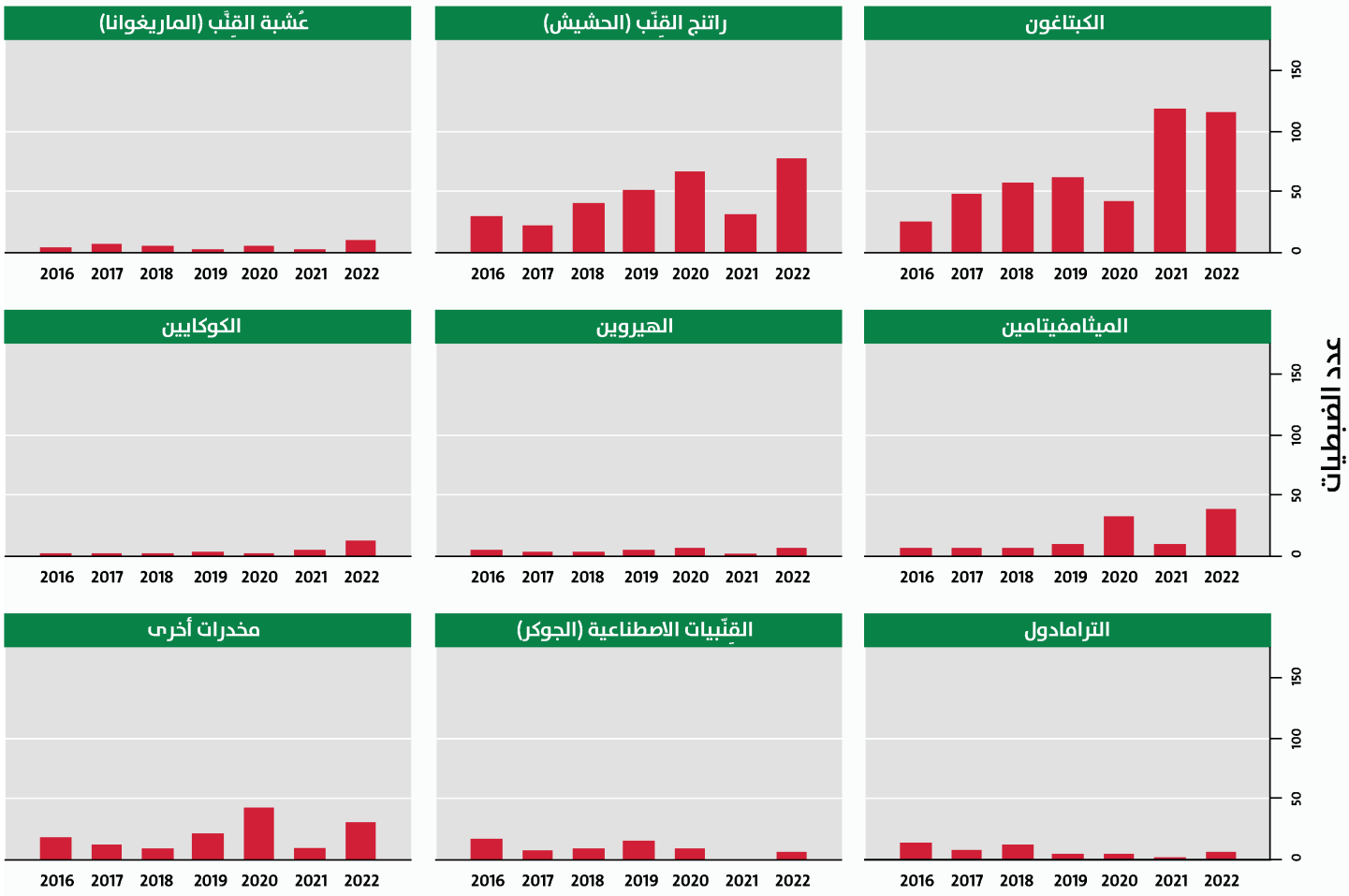

نُلاحظُ في الشكل 1 أن الكبتاغون وراتنج القِنّب (الحشيش) هما المُخدِّران الأكثر شيوعًا في المناطق العربية من آسيا، رغم أنَّ المَضبوطات في السنوات الأخيرة تُظهِر انتشارَ الميثامفيتامين (الميث البِلّوري/الكريستالي). بقي راتنج القِنّب _والذي شاع وصفُه بأنه المخدِّر المفضل في المنطقة_ ثابتًا نسبيًّا على مدى السنوات السبع الأخيرة، مع ازديادٍ طفيفٍ ومُتواصلٍ في المَضبوطات، باستثناء عام 2021. أمَّا الوافدُ الجديد _مجازًا_ وهو الكبتاغون، فرأينا ازديادًا شبيهًا له من عام 2016 إلى 2019 وتفجُّرًا في الزيادة في عامي 2021 و2022.

3.2 عرضٌ شمولي: من أين تأتي هذه المُخدِّرات؟

يُظهِر الشكلُ 2 أنَّ السلطاتِ الحائزةَ لا تُعلِن عن بلدِ المنشأ للشُّحنة في كُلِّ الحالات. فما زالَ عدد الشُّحنات التي حِيـزَتْ وأُعلِنَ عن بلدِ منشئها يتـناقصُ، ويظهر ذلك بجلاءٍ عامَ 2022، حيث بات "المصدر المجهول" القاعدةَ إلا في استثناءاتٍ محدودة. إذا افترضنا عدمَ تَغيُّـر السياسات المتعلِّقة بإعلان منشأ الشحنات المُصادَرة، فإن التناقصَ في العدد قد يعكسُ تطورَ قدرات المُهرِّبين على إخفاء هُوياتهم. رُبما تَرنو بعضُ الدول أيضًا تَـفادي النَّـقدِ العلني لمنظومة المخدرات في سوريا _وهو البـلد المسؤول عن عَرضِ معـظم المخدرات (كما سنستعرض في القسم 4) لحساباتٍ جيوسياسية، مثل الرغبة بالتفاوض مع نظام الأسد من أجل وقفِ تَدفُّـق المخدرات.

الشكل 2: ضبطيات المخدرات -بأنواعها المختلفة- المرتبطة بالمناطق العربية من آسيا

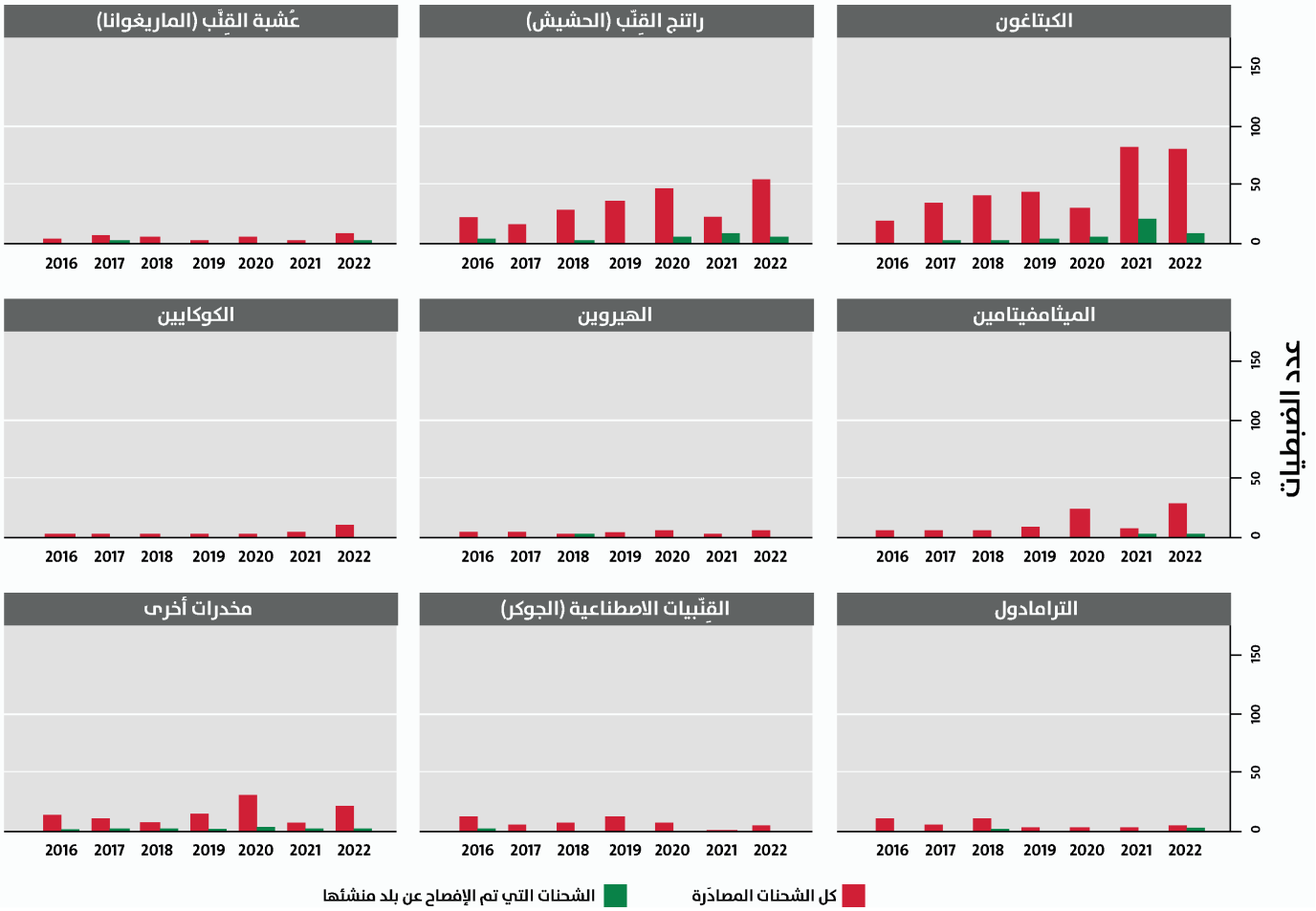

إلا أنَّ التركيزَ على الشحناتِ المُصادَرة التي سُمِّـيَتْ بلادُ مَنشئها يَهـبُنا خلاصاتٍ نافعةً، على الرغم من مَحدودية تلك الحالات. نرى في الشكل 3 أنه وخلال المدة من 2016-2022، ومن أصل 111 عملية ضبطٍ في المنطقة أعلنتْ فيها السلطاتُ عن بلدان المنشأ، فقد جاءت 60 شحنةً (54%) من مناطق سيطرة النظام في سوريا، ووصلتْ 7 شحنات (6%) من لبنان، و 5 شحنات (4.5%) من إحدى هذين الموقعين.

تشتمل معظمُ المضبوطات القادمة من سوريا أو لبنان على أكثر نوعَي المخدرات شيوعًا في المنطقة، وهما الكبتاغون وراتنج القِنّب. بالنسبة للكبتاغون، وصلتْ 36 من أصل 50 شحنة مُصادَرة (72%) من مناطق النظام في سوريا، ووصلتْ ثلاثُ شحناتٍ من لبنان وخمس من إحدى البلدَين، وذلك على حدِّ قول السُّلطات الحائزة. إذا استثـنَينا سوريا ولبنان، وهما بلدَي المنشأ لـ 86% من شحنات الكبتاغون المُصادَرة معروفة المصدر، فإنَّ البراهين على إرسال الكبتاغون من مناطقَ أُخرى قليلة. ما تبقَّى، وهو 14% من مجموع مَضبوطات الكبتاغون، جاء من تركيا، ومناطق هيئة تحرير الشام في شمال غرب سوريا، والأردن، والهند، واليمن، واليونان.

الشكل 3: عدد الشحنات المُصادَرة القادمة من مصادر معروفة (2016-2022)

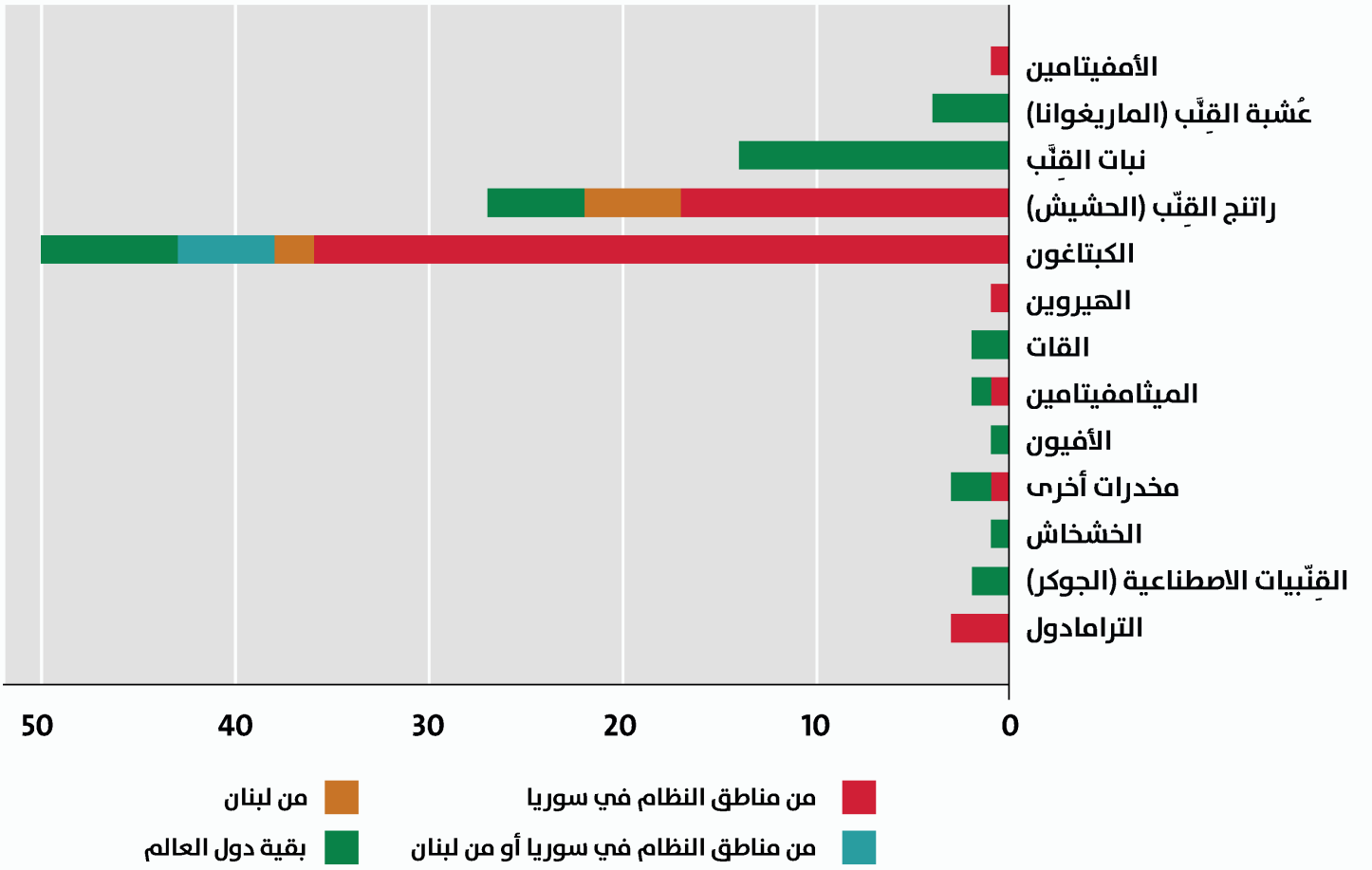

ملاحظة: الحيازات المرتبطة بالدول العربية الآسيوية فقط

تُعزَا قِـلَّةُ انتشار تصنيع المخدرات في الدول العربية الآسيوية الأخرى، عدا مناطق سيطرة الأسد ولبنان، إلى عددٍ من العوامل. السبب الأول اقتصاديٌّ خالص، فكُـلفة الإنتاج في سوريا ولبنان أكثر انخفاضًا مِن سواهما بسبب انخفاض أجور العمالة. السبب الثاني، أنه يغلب على السلطات في دول الخليج _حيث الاستهلاك الأكبر للمخدرات _ أن تتخذَ إجراءاتٍ صارمةً حيال مشاريع التصنيع لأنها تفوق هذين البلدَين في قُوة سيادة القانون وتَقِلُّ عنها عمومًا في الفساد، مقارنةً على الأقل بالرعاية الحكومية للمخدِّرات في سوريا. أخيرًا، يُعزَا الأمرُ كذلك ببساطةٍ إلى جهل ما هو مطلوبٌ لإنتاج المخدرات الاصطِناعية.

3.3 الحاجة إلى التـركيز على الكبتاغون

سيَـبقى الكبتاغون مدارَ البحث في هذا القسم نظرًا لأهميته، والتي تُبـرزها عواملُ ثلاثة. الأول، هو أنَّ الازديادَ المُتـصاعدَ في شُيوعه مَدعاةٌ للقلَق، وهو ما تدلُّ عليه التصريحاتُ الرسمية في دول المنطقة. فالكبتاغون الآن هو أكثر المخدرات انتشارًا في المنطقة (الرسم البياني 1)، وقد فاق في فترةٍ قصيرة راتنج القِنّب الذي طالما احتلَّ الصدارَة. قُرابة 58% من المُدمِنين الذين استضافَـتهم مراكزُ العلاج في السعودية خلال عام 2020 كانوا يَتعالجون من إدمان الأمفيتامينات كالكبتاغون.[8]

الثاني، هو أنَّ الكبتاغون _باعتباره مُخدِّرًا اصطِناعيًّا_ يؤثر في الصحة تأثيراتٍ جَسيمة، خاصةً لو قارنَّاهُ ببدائلَ طبيعيةٍ مثل راتنج القِنّب. آثارُه الضارَّة تشملُ الشَّمَق[9] (وهو انشراحٌ مُتـوَهَّم)، والانسِلاخَ من الواقع، وتبدُّدَ الشخصية النفسي الذاتي والجسدي، والهَلْوَسَة، والهِياج، وتناقص الشعور بالألم.[10] أضِف إلى ذلك أن التركيبَ الكيميائي للكبتاغون والذي لا ينفكُّ يتبدَّل _ويُبـرهِن على تبدُّله تنوع ألوان حبوب الكبتاغون التي حِيزت في المنطقة_ يعني أنَّ الآثارَ الصحية للكبتاغون يصعُب التـنبؤ بها.

العامل الثالث، هو أنَّ هامشَ ربحِ تجارة الكبتاغون يَعلو بكثيرٍ المخدراتِ الشائعة الأُخرى، مما يُشجِّع على الاتِّـجار غير الشرعيِّ ويزيد من الأرباح المادية لشبكات التهريب. يُهمُّـنا الالتفات إلى هذه العوائد الأعلى للمورِّدين في سوريا ولبنان من أجل فهم الاقتصاد السياسي في الإقليم على نطاقٍ أوسع، خاصةً في ظِلِّ النِّـزاع السوري.

3.4 عمليات حِيازة الكبتاغون وطُرق التوصيل إلى أسواق المُستهـلِكين

تزايدَتْ وتشعَّـبَتْ طرقُ تهريب الكبتاغون في السنوات الأخيرة مع تزايدِ شَعبِـيَّة المُخدِّر. رغم أنَّ مضبوطات المخدِّر في السعودية قد قلَّت في عام 2022 مقارنةً بعام 2021، إلا أنَّنا رصَدنا ازديادًا في لبنان والأردن يُشيرُ إلى أنهما يَتحَمَّلان مزيدًا من أعباء اعتراض المخدِّر. مع ذلك، تبقى السعوديةُ الدولةَ الرائدة في ضبط الكبتاغون، بواقع ثلاثةِ أضعاف ما صادرَته الأردن في عام 2022، مما يُدلِّل مجددًا على أنَّ المجتمعَ السعوديَّ هو المستهلكُ الرئيس للكبتاغون.

مناطقُ سيطرة نظام الأسد في سوريا، والتي يَخرجُ منها معظم الكبتاغون (طالِع القسم 3.2)، صادرَتْ كمياتٍ قليلةً نسبيًّا. هذا يَدفعُنا للتساؤل حول جِـدِّيَّةِ النظام في تَضيِـيق الخِناق على العرض، رغم أننا نرى تغطيةً إعلاميةً كبيرة وادِّعاءاتٍ علنية بشَنِّ حربٍ على المخدِّرات. يجدر التنويه إلى أنَّ نظامَ الأسد لطالما ادَّعى أنَّ المخدِّراتِ لا يتم إنتاجُها في مناطق سيطرته، بل في بلدانٍ أُخرى أو في مناطقِ نفوذ الجماعات الإرهابية.

صرَّح سفيرُ سوريا في روسيا بأنَّ الجيشَ العربي السوري وجدَ كمياتٍ وافرةً من المخدرات أثناء "تحرير" المناطق التي سيطرَتْ عليها جماعاتٌ وصفَها بـ"الإرهابية". وكذلك ادَّعى أنَّ تَفشيِّ المخدرات هو من مساوئ الازدياد المُطَّرِد لنشاط الإرهابـيِّين، مُلَمِّحًا بأنَّ الجماعاتِ الإرهابيةَ رَوَّجَتِ الموادَّ المُخدِّرة وهَـرَبَـتها كي تمُوِّل الإرهابَ وشراء الأسلحة. إلا أنَّ البياناتِ في الحقيقة تكشفُ أنَّ المناطقَ الخارجة عن سيطرة النظام أنتجتْ كمياتٍ مَحدودةً من الكبتاغون، ولم تَظهرْ ضمن قائمةِ المناطق العشرة الأكثر مُصادرَةً للكبتاغون في البلدان العربية الآسيوية (الشكل 4).

8- مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة، "بيانات المكتب: قائمة بالدول" (بالإنجليزية)، 2020. https://dataunodc.un.org/content/country-list.

9- يذكر المُعجم الطبي المُوحَّد أن الشَّمَقَ هو "حالة حلمية تنـتج إثر تعاطي المخدرات مثل الحشيش والأفيون"، https://umd.emro.who.int/whodictionary، ويُعرِّف معجمُ الدوحة التاريخي للغة العربية الشَّمَقَ بأنَّه: "المَرَحُ الَّذِي يُشْبِهُ الجُنُونَ"، https://www.dohadictionary.org/dictionary (المترجم).

10- م بريف، س كاسيلياني، م غوديو، ن إ سواردي، ر ترابر، ر آ كولومبو، "إساءة استخدام الفينيثيلين (الكبتاغون): دراسة حالة واستعراض للدراسات السابقة" (بالإنجليزية)، مجلة الطب النفسي الأوروبي 41، العدد 1 (2017): S394-393. https://doi.org/10.1016/j.eurpsy.2017.02.448.

11- رؤى الجزائري، "السفير رياض حداد يؤكد أن التنظيمات الإرهابية المسلحة اعتمدت على المخدرات وسيلة إضافية في تمويل جرائمها" (بالإنجليزية)، الوكالة العربية السورية للأنباء (سانا)، 24 يونيو/حزيران 2021، https://www.sana.sy/en/?p=239057.

الشكل 4: الدول العشر الأكثر ارتباطًا بحيازة الكبتاغون ضمن البلدان العربية الآسيوية

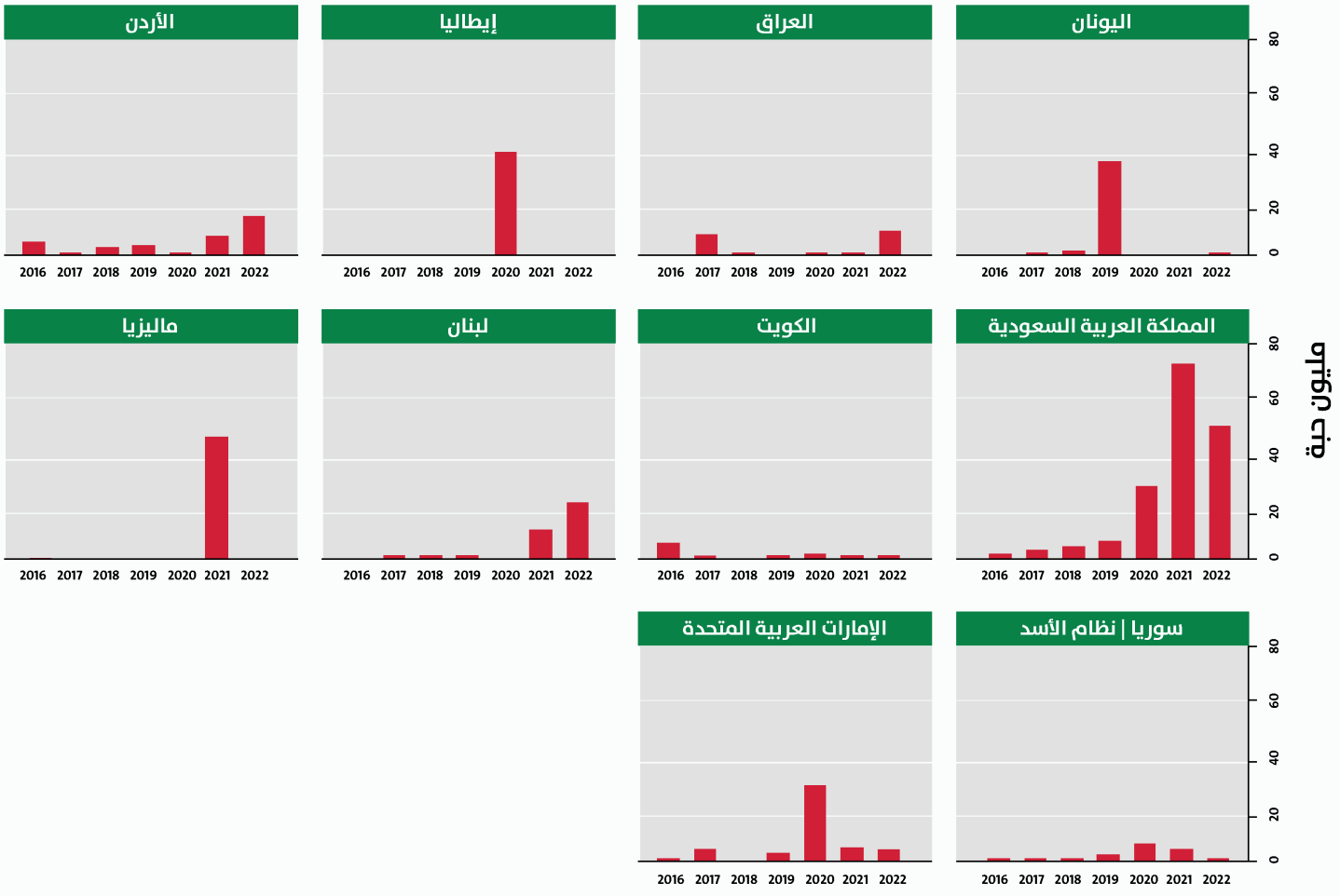

فيما يُظهِر الشكلُ 5 أنَّ الشحناتِ المَنـقولةَ عبر دولٍ بعيدة تمَيلُ إلى أن تكون أكبر. نُرجِّحُ أن ذلك يعود إلى ارتفاع كلفة التهرِيب والتأمين والشَّحن في مثل هذه الحالات. نرى ذلك بجلاءٍ في الشحنات المنقولة عبر اليونان وإيطاليا وماليزيا.

لفتَ أنظارنا أنَّ متوسطَ عدد الحبوب التي حِيزَتْ في كلِّ ضبطيةٍ في السعودية تُراوح بين 3 و10 مليون، خلال السنوات الثلاث الأخيرة. إلا أنَّ متوسطَ الحبوب التي حِيزَتْ في الأردن بلغ أقلَّ من مليون حَـبَّة، مع ارتفاعٍ محدود في عام 2022. ولو أنَّ عملياتِ تهريبٍ عديدةً بأحجامٍ صغيرة مُجزَّأة تجري على الحدود السورية الأردنية (أحيانًا باستخدام البشر والبِغال والطائرات المُسيرَّة)، فتَـقَصِّي فرادى الحوادِث يكشفُ أنَّ الشحناتِ البَـريَّةَ التي تصلُ إلى السعودية من الأردن تمَيلُ إلى أن تكون أكبر مما تَضبِطُه سلطات الأردن على الحدود مع سوريا. وهذا يدفعنا للشَّكِّ إجمالاً في فاعلية مَساعي اعتراض التهريب في الأردن رغم التحسن الأخير، وكذلك للشَّكِّ في نوايا النظام باعتراضِ سبيلِ الشبكات.

الشكل 5: متوسط عدد الحبوب في الضبطية الواحدة في الدول العشر الأكثر ارتباطًا بحيازة الكبتاغون

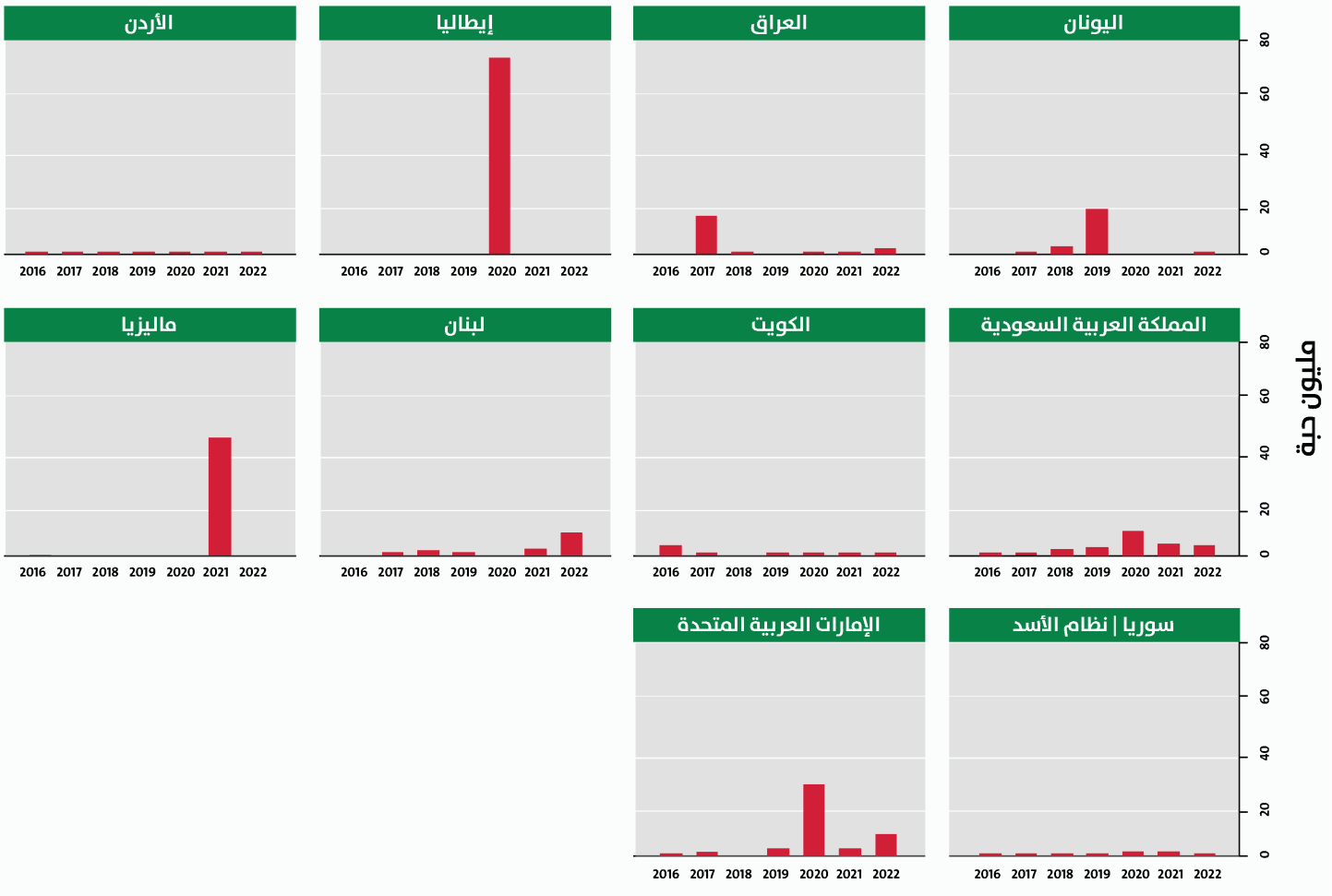

تكشفُ التفرِقةُ بين الشحنات التي ضُبِطَتْ في معابر الدخول، وتلك التي عبرتِ الحدودَ ووصلَتْ إلى أسواق المُستهلِكين المحلية، عن معلوماتٍ مهمة تعكسُ نجاحَ المُهرِّبين في الدُّنـوِّ من المُستهلِكين النهائـيِّين. يُسلِّط هذا الضوء أيضًا على القدرة النسبية للسلطات باختلافها (الجمارك أو الشرطة على سبيل المثال) على أن تعترِضَ الشحنات، واحتمال تورطها في الفساد والتشارك مع مُزوِّدي المخدرات. على العُموم، وباستثناء عام 2021، فاق عددُ الضبطيات داخلَ حدود الدولة تلك على نقاط الدخول (طالِع الشكل 6).

الشكل 6: عدد ضبطيات الكبتاغون في السنة وحسب موقع القبض

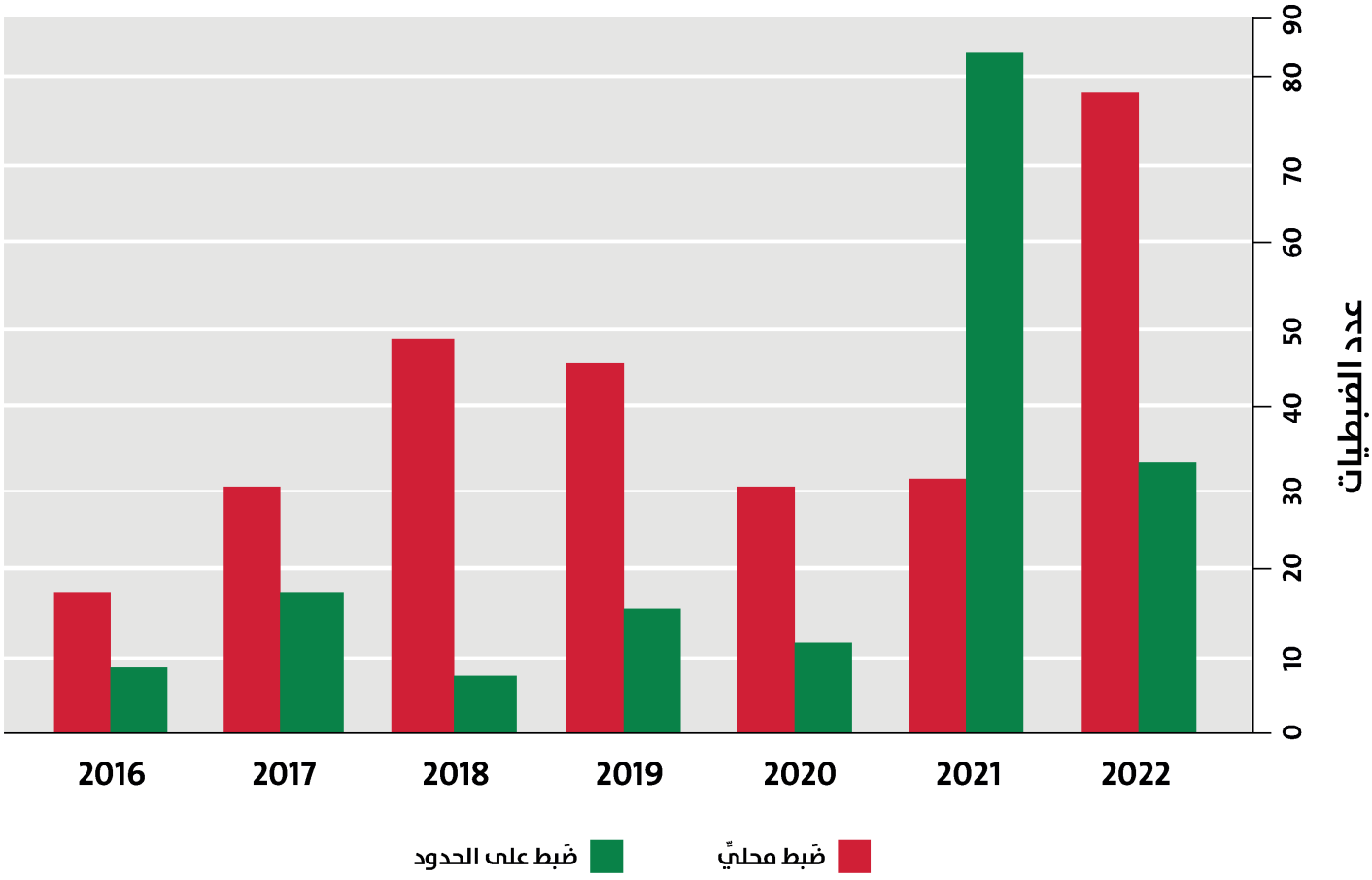

ملاحظة: الحيازات تتعلق بالدول العربية الآسيوية فقط

إلا أنَّ مَضبوطات الكبتاغون محليًّا (داخل حدود البلدان) في كلِّ المناطق العربية من آسيا، تميل إلى أن تكونَ بكمياتٍ أصغر وسطِيًّا (الشكل 7). وهذا متوقعٌ في هذه البلدان وغيرها، لأن التهريبَ بالجُملة يتوزع على شبكاتٍ فرعية أصغر فأصغر إلى حين الوصول للمستهلك النهائي، أي أننا إذ نرى الضبطيات المحلية، فإننا في الواقع لا نُبصِرُ سوى جزءٍ يسير من شبكات التوزيع.

الشكل 7: متوسط عدد حبوب الكبتاغون المصادَرة حسب موقع القبض

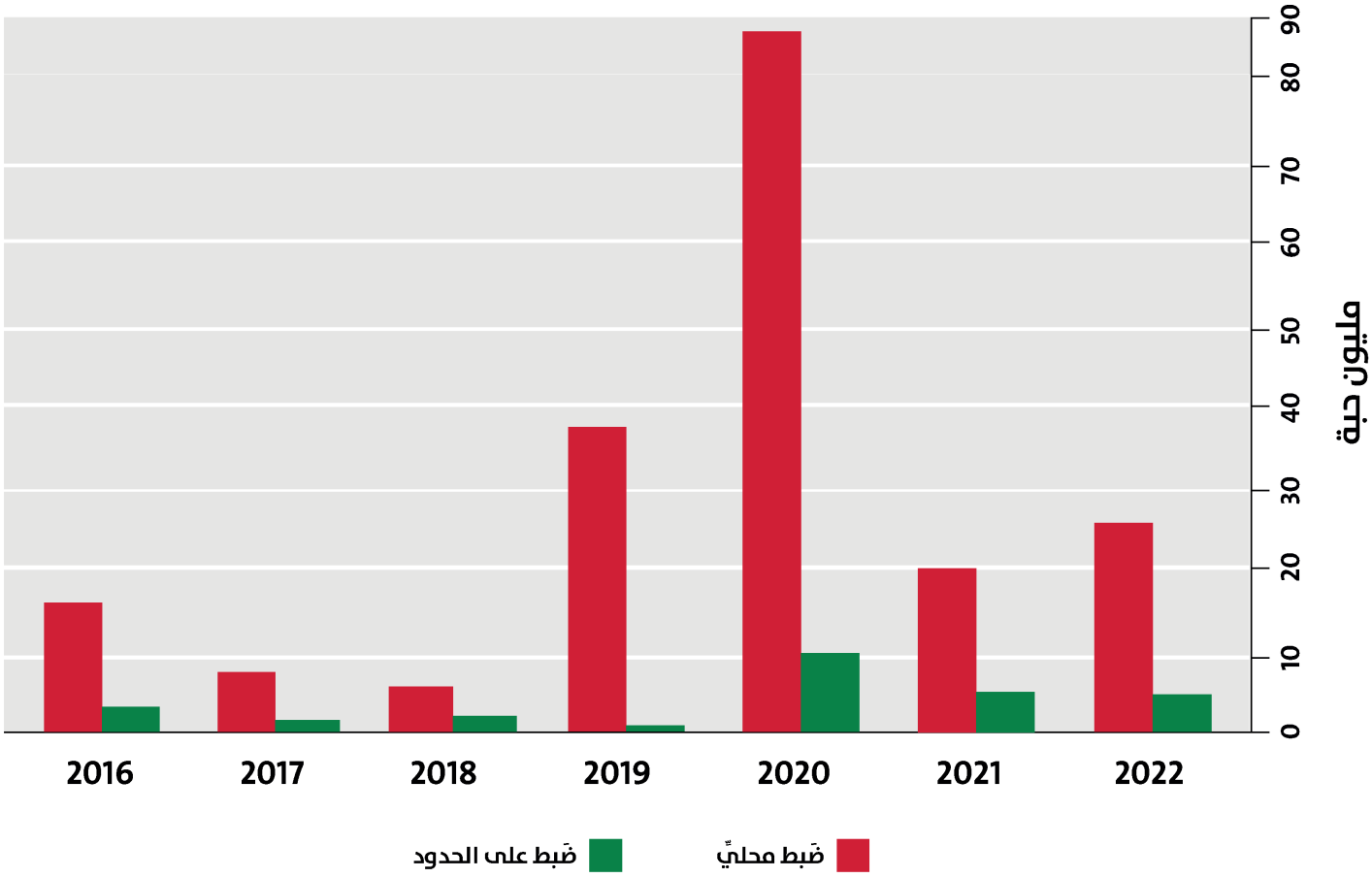

ملاحظة: الحيازات تتعلق بالدول العربية الآسيوية فقط

بَيْدَ أنَّ المصادرَ في دول الاستهلاك ومُحاولاتِ رَصدِ الأسعار في بُلدانٍ عِدَّة باستخدام بياناتٍ ثانوية، تكشفُ أنَّ سعرَ الكبتاغون لم يتغيَّر بقدرٍ كبير في كلِّ دولةٍ على حِدَة في السنوات الأخيرة. ويعني ذلك أنَّ التوازنَ بين الطلب والعرض مُتحَـقِّقٌ نِسبيًّا. التذبذبُ في مَضبوطات المخدرات محليًّا وعلى الحدود في السنوات الأخيرة مع ثبات أسعار الكبتاغون ضمن حدود كلِّ بلدٍ، يجعلُنا نُرجِّح أنَّ كمياتٍ كبيرةً من الحُبوب قد وصلَتْ إلى أسواق المُستهلِكين دون اعتراضها.

4. شبكات المُخدِّرات في سوريا ولبنان

4.1 الإنتاج

حددَ الباحثون الموقعَ الجغرافي لـ44 مُنشأة لـتَصنيع المخدرات. 36 مُنشأة منها هي مصانعُ أو مختبراتٌ لإنتاج الكبتاغون، والثماني منشآت الباقية هي مزارعُ قِـنَّب. منشأةٌ واحدة فقط منها تقعُ في لبنان، والـ43 الباقية هي في سوريا.[12] دلَّـلَتْ بياناتُ المَضبوطات التي تناوَلناها في القسم 3 على الدور المُتعاظِم لسوريا بالمقارنة مع لبنان. وكذلك فأعدادُ منشآت التصنيع التي تعرضنا لها هنا يَعكسُ مركزيةَ سوريا بالمقارنة مع لبنان، وكذلك تفوُّق عرض الكبتاغون على القِنَّب.

ينبغي أيضًا التنويهُ إلى أنَّ بعضَ مُنشآت تصنيع الكبتاغون صغيرةٌ للغاية، مما يُساعِد المُنـتِجين على الحدود اللبنانية السورية على نقلها بين الدولتين عند ارتفاع خطرِ اعتراضهم في إحداها. بالرغم من أنَّ هذا يمُوِّه أهميةَ دور سوريا ولبنان، تَبقى سوريا مِحوَرَ التصنيع الأول.

في سوريا، تتركَّزُ هذه المنشآتُ بالدرجة الأولى في محافظة درعا. توجَد أسبابٌ مختلفة لذلك، منها الوضعُ الأمني الهَـشُّ في المنطقة، وشبكاتُ التهريب والمَحسوبية القائمة على طولِ الصحراء في منطقة الحدود بين الأردن ودرعا، والقربُ من أسواق المُستهلِكين في الخليج. تضاعفَ عددُ المنشآت في المنطقة خاصةً بعد عام 2018، إبَّانَ استعادةِ النظام قطاعاتٍ واسعة من المحافظة.[13] نُنوِّه إلى أنَّ الكثيرَ من أهالي الجنوب العاملين في التصنيع مُنـتسِبون إلى حزب الله اللبناني والفرقة الرابعة المُدرَّعة.

تتركَّز منشآتُ التصنيع بالدرجة الثانية في محافظة دير الزور شرق سوريا. لـقُرب المحافظة من العراق نصيبٌ في تضاعُفِ أعداد منشآت التصنيع مؤخرًا وازدياد نشاط الإنتاج عمومًا؛ فالعراق حاليا لم تتحولْ لـتُصبِحَ محضَ طريقٍ بديل لأسواق المستهلكين في الخليج بل غدَتْ سوقًا للاستهلاك بحَدِّ ذاتها.[14] كما أنَّ دير الزور قريبةٌ جغرافـيًّا أيضًا من الطريق السريع المُمتدِّ من سوريا إلى العراق باتجاه مدينة القائم، والذي يخضعُ لسيطرةٍ إيرانية مُحكَمة بواسطة الميليشيات، وقد استُخدِم للتهريب في الماضي. الميليشياتُ السورية والعراقية المَدعومة من إيران ضالِعةٌ بمعظم النشاطات في دير الزور (طالِع القسم 4.2).

أما دَورُ محافظة حمص، والتي تَحوي ثالث أعلى تَركُّزٍ من حيث العدد لـنقاط تصنيع المخدرات، ففي تناقُصٍ لصالح درعا ودير الزور. يلعبُ حزبُ الله اللبناني دورًا مُتعاظِمًا في المحافظة إلى جانب الفرقة الرابعة المدرعة التي يقودها ماهر الأسد؛ وذلك نظرًا لمُجاورتها الحدود اللبنانية.

كما رصدتِ المصادرُ الأوليةُ والثانوية موقعَ تصنيعٍ أيضًا في محافظة إدلب التابعة لهيئة تحرير الشام، وأربعةَ مواقعَ في منطقة الجيش الوطني السوري المدعوم من تركيا. لا توجد أدلةٌ على تورُّطِ القادة الكِبار في هيئة تحرير الشام في تصنيع المخدرات، غير أنه توجد أدلَّـةٌ على تورط قياداتٍ من الجيش الوطني السوري. مع ذلك يَبقى كلاهما ذا مُساهمَةٍ طفيفة في تصنيع الكبتاغون بالمقارنة مع نظام الأسد. أما عن التهريب، فهو قائمٌ في كلِّ أنحاء البلاد، حيث إنَّ وقـفَه أصعبُ من وقف التصنيع.

12- عِلمًا أن هذا البحثَ اقتصر على تسمية مراكز التصنيع الكبرى ولم يُسَمِّ منشآتِ التصنيع الصغيرة. بالوسع تصنيع الكبتاغون بطرقٍ بسيطة لأنه لا يستلزم مُعدَّاتٍ معقدةً أو خِبرة وحذاقة في علوم مثل الكيمياء، إلا أنَّ عملياتِ التصنيع ذاتَ القدرة الإنتاجية الضئيلة تُنـتِج كمياتٍ يسيرة، ولذا قُمنا بالتركيز على الإنتاج الأوسع نِطاقًا.

13- "دروس مُستـقاة من عودة الدولة السورية إلى الجنوب" (بالإنجليزية)، مجموعة الأزمات الدولية، 25 فبراير/شباط 2019، https://www.crisisgroup.org/middle-east-north-africa/eastern-mediterranean/syria/196-lessons-syrian-states-return-south.

14- كارولين روز، "تجارة مُخدِّر الكبتاغون: العراق وتركيا دولتا عبور تجدر مراقبتهما" (بالإنجليزية)، معهد نيو لاينز، 4 أبريل/نيسان 2023، https://newlinesinstitute.org/syria/iraq-and-turkey-two-transit-countries-to-watch-in-the-captagon-drug-trade/.

4.2 الأشخاص والكِيانات الرئيسية

اتُّخِذَتْ إجراءاتٌ صارِمةٌ لحماية خصوصية الفاعلين من أفرادٍ وكياناتٍ، والذين وردَتْ أسماؤهم في شبكاتِ عرض المخدِّرات (إنتاج، تهريب، وتوزيع). في ثنايا هذا التقرير، تجدُ أن الفاعلين المذكورين إما فُرِضَتْ عليهم العقوباتُ لأدوارهم، أو ذَكرَتْـهم دراساتٌ ومنشوراتٌ سابقة. لم تُذكَرِ الأسماءُ في كُلِّ الحالات الأُخرى التي وردَتْ معلوماتُها من مصادرَ أولية، وقد استبقَينا من الأوصاف أقلها حتى لا تَنكشِفَ هُوية المَعنِـيِّين.

حُلِّـلَتْ قاعدةُ البيانات الشبكِيَّة _والتي بُنِـيَتْ لأجل هذا البحث_ من زاوية الفاعلين (العُـقد) وزاوية العلاقات (الروابط) بالنظر إلى اضطِلاعهم في عرض المخدِّرات من سوريا، وبدرجةٍ أقل من لبنان. بالتحليل تبيَّن وجودُ أنواع مختلفة من الفاعلين، مثل:

- الشركات الخاصَّة
- مؤسسات القِـطاع العام
- حرس الحدود (المتواطئين مع المُهرِّبين)
- مُوظَّـفي الجمارك والسماسِرَة
- المُوزِّعين المَحلِّـيِّين
- الناقلين وخبراء الإمداد والتجهيز[15]
- الباعة المُتجوِّلين والمُروِّجين
- شركات الأدوية
- الوسطاء (الأشخاص الذين يَسعون للربط بين المُصنِّعين والمُهرِّبين والمُوزِّعين لقاء عمولات)
- مُورِّدي المواد الخام
- غاسِلي الأموال
- جماعات الجريمة المُنظَّمة
- الجماعات المسلحة غير النظامِية والميليشيات

من أجل هذه الدراسة، شكَّـل الباحثون مجموعةً فرعية بناءً على كَـمٍّ كبير من المعلومات المأخوذة من قاعدة البيانات الشبكية. الشبكةُ الفرعية جاءَتْ في 330 عُقدة و458 رابطًا (علاقة). تألَّـفَتِ الروابطُ بشكلٍ رئيسي من علاقاتٍ تنظيمية غير رسمية بين الأشخاص (132 علاقة، 29% من كل الروابط)، وخليط من علاقات التعاون الرسمية وغير الرسمية بين المُنـظَّمات (111 علاقة، 24% من كل الروابط). تمثِّل علاقاتُ التعاون الهَجينة _والتي إحدى طَرفيها شخص والطـرف الآخر مُنظَّمة_ 22% من كلِّ الروابط. وتمثِّل علاقاتُ التأثير والقرابة 6% من كُلِّ الروابط لكُلٍّ واحدةٍ على حِدَة. يتبقى 19% من الروابط، وهي مُوزَّعة ما بين علاقاتِ ملكية، وشراكاتٍ تجارية، وعداوات، وصداقات، وعلاقاتٍ تنظيمية رسمية.

من أجل أن نفهمَ ما تُخفيه توزيعةُ هذه العلاقات من دلالات، حاوَلنا في هذا البحث تحديدَ الأطوار التي مرَّتْ بها منظومةُ المخدرات السورية وصولًا إلى بلوغها مرحلتها الحالية. نُرجِّح أنها بدأتْ بـنَواةٍ صغيرة لشبكةٍ فرعية للمخدرات مَدعومةٍ من فاعلين سُلطوِيِّين مثل الفرقة الرابعة المدرعة. بعدها، جذبتِ العلاقاتُ غير الرسمية وعلاقاتُ التعاون فاعلين آخرين مَحلِّـيِّين وهامشِـيِّين ليَنـضمُّوا إلى الشبكة. بعضُ هذه العلاقات كان مَرِنًا مُتَـبَدِّلًا وذاتي التنظيم. مع مرور الوقت، نشأتْ مراكزُ قوًى قادت إلى توازناتٍ بدأت المنظومةُ في ضوئها تَشِبُّ عنِ الطَّوق. يُدلِّلُ على ذلك وجود فاعلين أقوياء في المِحوَر، وأصناف شَتَّى من الفاعلين في المنظومة، وكذلك تَشكُّل شبكاتٍ فرعية وظيفية.

بالمقارنة العامَّة بين كيفية تَطورِ منظومات المخدرات العالمية ومنظومات المخدرات الإقليمية، وبأَخذِ التطور المُسجَّل للمنظومة السورية في الاعتبار، نرى أن توزيعَ أنواع العلاقات يُشير إلى أنَّ منظومةَ المخدرات في سوريا شَبَّـتْ عن مرحلة الطفولة ولم تَفـتأ تَكبـرُ وتتطورُ وتتبلورُ مُنتـقِلةً من الفوضى إلى الانتظام. أما التحالفاتُ وعلاقات التعاون بين جماعات الجريمة المنظمة والمُهرِّبين وغيرهم فهي مُتقـلِّبة.

15- الإمداد والتجهيز، هو الاصطِلاح العربي لِـلُّوجستِيات (المترجم).

قد توجد بعضُ العُقَد في شبكاتٍ وظيفية متعدِّدة في نفس الوقت، وتلعبُ أدوارًا مختلفة في كلِّ شبكة. على سبيل المثال: يقوم وسيم الأسد مقامَ مِحوَرٍ إقليميٍّ في الشبكة التنظيمية الفرعية للمخدرات في سوريا، وفي الوقت ذاته يتولىَّ وسيم دور المِحوَر المحليِّ في شبكة التمويل الفرعية، وهو وسيطٌ أساسيٌّ في شبكة العمليات والعرض والتجهيز الفرعية.

تُظهِرُ الخريطةُ المُولَّدة لهذا البحث أشخاصًا وكياناتٍ عديدة يتولون أدوارًا وظيفية في سلسلة عرض المخدرات. وهيَ تُسلِّط الضوءَ على أشخاصٍ يَعملون لصالح أفرعٍ أمنية حكومية ويَحملون بطاقاتِ تعريفٍ رسمية بصفة "مُتعاونين". وفي الخريطة أيضًا، أفرادُ جماعاتٍ عسكرية غير نظامية بمناصبَ رفيعة في قوات الدفاع الوطني. دورُ الكيانات الحكومية الرسمية، والجيش السوري، والميليشيات المدعومة من النظام مثل كتائب البعث، ظاهرٌ أيضًا في الشبكة، إما مباشرةً وإما عن طريق وسطاء يَربطونها بأشخاصٍ وكياناتِ آخرين مُرتبطين بالمخدِّرات.

يَظهر مقاتلو المعارضة السابقون على الخريطة أيضًا مع شبكات التهريب المُموَّلة من الفرقة الرابعة المدرعة، وقد أُرسِلوا إلى مناطقَ جغرافية مُحدَّدة لأهدافٍ استراتيجية (ومثال ذلك جماعة غسان أبو زريق). تعرض الخريطةُ بعضَ منشآت التصنيع القريبة من منافذِ الشحن، كما نرى في الشلفاطية وعين البيضا.

تشيعُ شبكاتُ القرابة في الخريطة، وهذه الشبكاتُ عادةً تَعاضُدِيَّة في الوظائف، فمثلًا تجد فردًا من عائلةٍ يرأس ميليشيا وفردًا آخر فيها يرأس شبكةَ توزيع.

لمَّا دنَونا من حدود خريطة السيطرة في سوريا، رأينا معابرَ عِدَّة، بعضها تُسيطِر عليه الفرقةُ الرابعة المدرعة من أجل التكفُّل بعمليات التهريب. مثالًا لذلك، نذكر معابرَ نهرِ الفرات في حوايج ذياب شامية وحوايج بومصعة. حيثُ نجدُ على طول الحدود، لـبضع قبائلَ وجماعاتٍ من البدو أيادٍ في شبكة العرض، مُستـفيدين من معرفتهم بالمَعابر غير الرسمية.
يرتبط رجالُ أعمالٍ مفصليون في الشبكة مباشرةً بالقصر الجمهوري، مثل حسام قاطرجي وخضر علي طاهر. لقد اكتشفنا رجالَ أعمالٍ آخرين في هذا البحث، وهم غير معروفين على نطاقٍ واسع، إلا أنهم يلعبون أدوارًا رئيسية في شبكة العرض على المستوى الإقليمي.

ومن الأمور الجوهرية التي تُبـرِزها خريطةُ البحث، اضطلاعُ فصائلَ معارِضة بعينها بعرض المخدرات ضمن الشبكة، مثل أحد قياديِّـي الفيلق الثالث للجيش الوطني السوري، وهو الذي تُوجَد مزاعمُ بأنَّ أخاه التاجرَ المقيم في إعزاز يُساعده في الإمداد والتجهيز. يوجد قائدٌ آخر في الجيش الوطني السوري ضالعٌ مباشرةً بعرض المخدرات في مناطق المعارضة، وهو قائد لأحد الألوية التي تتبع فرقةَ السلطان ملكشاه. بل وتشير تقاريرُ إلى أنَّ عضوًا في وفد المُعارضَة إلى أستانة يدير بشكلٍ غير مباشر منشأةَ تصنيع مواد خام للكبتاغون في الباسوطة.

وللروابط أهميتها على جانب المُعارضة أيضًا، حيث تصلُ بين الشبكات الفرعية، وهي تربط بينها ولو كانت لخصومٍ سياسِيِّين. فتُظهِر الخريطةُ أن قائدًا في فصيل السلطان مراد التابع للمعارضة _وهو ضالِع بتَـهريب المخدرات _ لديه صِلاتٌ بالفرقة الرابعة المدرعة. لشخصين آخرَين صِلاتٌ مباشِرة بقوات سوريا الديمقراطية وميليشيا لواء الباقر القبلية، من أجل الإشراف على عمليات عرض المخدرات في ريف دير الزور. ومن الصِّلات الأُخرى، شخصٌ تقول التقاريرُ الأولية والثانوية باضطِلاعه المباشر بتجارة المخدرات، وهو مُنسِّق عسكريٌّ بين الجماعات المسلحة المحلية والسلطات التركية؛ وبذا يكون له يَدٌ عليا على تُجار المخدرات الآخرين في المنطقة.

تعرضُ الخريطةُ أيضًا معابرَ تهريبٍ ومزارعَ حشيشٍ تُسيطر عليها فصائلُ المعارضة، مثل مزارع رشو عطية التي تقع في منطقة رأس العين في ريف الحسكة الشمالي.

بالعودة إلى جانبِ الشبكة المُتعلِّق بالنظام، فقد عززَتِ البياناتُ الأولية والثانوية الانطباعاتِ السابقة حيال الأدوار المِفصَلية للفرقة الرابعة المدرعة وقوات الدفاع الوطني، واللتين تَظهران ككُتـلَتين كبيرتين في الشبكة (لكونهما تَحظيان بأعلى عددٍ من الارتباطات مع أفرادٍ وكيانات أخرى). أما الاعتبارات الإقليمية فتَـتـبدَّى أكثر ما تـتـبدَّى في اضطلاع فاعلين مُموَّلين من إيران، وأبرزهم حزب الله، وإلى درجةٍ أقل قوات الحشد الشعبي. إن المشاركةَ العميقة لهذين اللاعبَين الإقليميَّين تَجعلُنا نتساءل عن أدوارهما التي تتجاوز المخدِّرات. فمثلًا، توجد دلائلُ على غسيلِ أموالٍ وفسادٍ قائمين في العراق، وعلى دَفْقٍ غير شرعيٍّ من الدولارات من نفس البلد. وبالنظر في هذه الدلائل، وفي شركاتٍ صُورية كثيرة أخرى تَنتسِبُ إلى الحرس الثوري الإيراني في المنطقة، يُحتمل أن هؤلاء العاملين في المخدرات من غير السوريِّين والذين يتمركزون قرب الحدود الشرقية، هم من المَحاوِرِ التي تعملُ على غسيلِ إيرادات تُجَّارِ المخدِّرات في سوريا.

غالبيةُ العُقَدِ في هذه الشبكة (أشخاصًا كانوا أم كِيانات) يَنـقلون، يَشحنون، يُخـزِّنون، يُهرِّبون، أو يُوزِّعون المخدرات. كذلك فإن بعضَهم يَقومون بالتنسيق والتشبيك بين العُقَدِ المختلفة.

وإنَّ مزيدَ تحليلٍ لـبِنية الخريطة باستخدام خوارزميات الرسم البياني، يؤيد فرضيةَ أنَّ شبكةَ عرضِ المخدرات قد تطورَتْ بطريقةٍ رفعَتْ من قُدرتها على التكَـيُّفِ عبر الزمن. ليس للشبكة تدرُّجٌ رسميٌّ أو مباشر في السلطة، مما يزيد من قدرتها على امتصاص الصَّدمات المحتملة والتكيُّف مع ما يَطرأ في واقع السوق وقيوده. وبتَحليلِ شبكة العلاقات الرسمية وغير الرسمية بين العُقَد، خَلَصَ البحثُ إلى أنَّ لبعض الفاعلين أدوارًا ومناصبَ وتأثيـرًا فريدًا في الشبكة، يجعلُ منهم على وجه التحديد حُماةً للشبكة. وتشمل هذه الأدوار:

- **المَحاوِر (الكُـتل):** عُقَدٌ مترابطةٌ بقوةٍ ولها علاقاتٌ عديدة مع عُقَدٍ أُخرى، مما يَجعلُها تمُسِك أجزاءَ بِنـيَة الشبكة كلها معًا.
- **مفاتيح ربط الحدود:** وهم فاعلون يَلعبون أدوارًا وظيفيةً عن طريق ربط أصنافٍ مختلفة من الفاعلين مع الشبكات الفرعية على المستوى المحلي والإقليمي.
- **سماسِرة المعلومات/الإمداد والتجهيز:** وهم فاعلون أكثر قربًا من معظم أعضاء الشبكة، ويلعبون أدورًا مِفصليةً في استدامة صُمود الشبكة عن طريق مشاركة المعلومات والتمويل والحماية.

على مستوًى جَمعـي، حدَّد البحثُ بعضَ البُنَى الشبكية:

- **كُـتَلُ المِيزات المشتركة:** شبكاتٌ فرعية مترابطة بقوة وفيها فاعلون يَحملون مِيزات مشتركة، مثل الانتماء لنفس العشيرة.
- **الكُـتَلُ الوظيفية:** شبكاتٌ فرعية مترابطة بقوة وفيها فاعلون لهم وظيفة مشتركة، مثل التهريب عبر مَعبرٍ حدوديٍّ مُعيَّن.
- **شبكات الدعم:** شبكاتٌ فرعية أُلِّفَتْ وفق استراتيجيةٍ ترمي لاستدامة الوضع الراهن، وحماية هذه التجارة بأسرِها، وإبقاء الجميع تحت السيطرة (بالاستخبار والتجسُّس).

على الرغم من أنَّ هذه الشبكةَ التي بُنِيَتْ لأجل هذا البحث هي أكبرُ شبكةٍ مُتاحة عن مُزوِّدي المخدرات من سوريا ولبنان، إلا أنها غير مكتملة أبدًا، وتستلزمُ تَعضيدًا إضافـيًّا. لهذا السبب، لن نُفصِحَ في هذا البحث عن درجات التأثير للأدوار والبُنَى الشبكية التي احتُسِبَتْ عن طريق تطبيق خوارزميات التحليل الشبكي على الشبكة. عِوَضًا عن ذلك، يعرض البحثُ فقط نتائجَ التحليل الاستكشافي والمرئي للشبكة.

نأمل أنَّ المحاولات المستقبلية للتوسُّع والتعمق في تحديد الفاعلين، ستكون وَلَّادَةً للفُرَص. ولو وُضِعَتْ خريطةٌ لـ"مُديري ثروات الآخرين"، والمحامين، والمَصرفِـيِّين، وغاسِـلي الأموال، والمُحاسبين الضالِعين بهذه التجارة لأمكن الحصول على نتائجَ أخرى لا تظهر في هذا التقرير. كذلك قد يُثمِرُ تطبيق خوارزميات التحليل الشبكي والتحليل المرتبط بالزمن في تحديد الكيانات الأكثر تأثيرًا التي يجب أن تُفرَض عليها العقوباتُ أو أيُّ تدابيـرَ أخرى. وفي الخِتام، يمكن في المُحاولات المستـقبلية استكشافُ التحليلِ الشرطيِّ (ماذا لو) من أجل استعراض سُلوكيات الشبكة المحتملة، بعد إبعاد/عزل كياناتٍ بعَينها، مما يُساعد صانعي السياسية وأصحاب القرار على اتخاذ الإجراءات المُثلى.

4.3 التداخل مع العقوبات

في المجموعة الشبكية الفرعية التي تتشكلُ من 330 عقدة (202 من الأشخاص و128 من غير الأشخاص) التي حَلَّـلناها لأجل هذا البحث، وجدنا ما مجموعُه 36 عقدةً قد فُرِضَتْ عليهم عقوباتٌ من المملكة المتحدة، أو الولايات المتحدة، أو الاتحاد الأوروبي (25 شخصًا و11 منظمة)؛ وهذا قدره تقريبًا 10% فقط من كامل منظومة المخدرات المُستخدَمة في هذا البحث الشبكي. 25% من هؤلاء الذين فُرِضَتْ عليهم العقوباتُ قد أُدرِجوا من أجل أفعالٍ مُخالفة للقانون لا علاقةَ لها بالمخدرات.[16]

أقارِبُ بشار الأسد من الأشخاص البارزين الذين فُرِضَتْ عليهم عقوبات، مثل سامر الأسد ووسيم الأسد.[17] من المُعاقبين أيضًا رجال أعمالٍ بارزين مثل حسام قاطرجي،[18] وعامر تيسير خيتي.[19] الغالبية العُظمى من الذين فُرِضَتْ عليهم العقوباتُ لدورهم في شبكات عرض المخدرات هم مواطنون سوريون، وهذا يؤكِّدُ مدى التأثير النِّسبي لسوريا في عرض المخدِّرات. نوح زعيتر[20] من الجارة لبنان، وحسن دقو[21] الذي يحملُ رسميًّا الجنسيتَين السورية واللبنانية هما استِـثناءان بارِزان من غير السوريِّين.

تتناغم برامجُ العقوبات للولايات المتحدة والمملكة المتحدة والاتحاد الأوروبي في تَسمية هذه الكِيانات فيما بينها. إلَّا أنَّ 7 أشخاص قد فُرِضَتْ عليهم العقوباتُ بواسطة برنامجَي الاتحاد الأوروبي والمملكة المتحدة فقط، مثل لؤي العلي، رئيس فرع الاستخبارات العسكرية 217 في السويداء،[22] وطاهر كيالي،[23] مالك الناقلة البحرية نوكا. في ديسمبر/كانون الأول 2018، صادرت السلطاتُ اليونانية الناقلةَ نوكا، حيث وجدَتها مُحمَّلةً بشُحنةٍ ضخمة من الكبتاغون.[24]

16- مما يُستدعَى ذِكره أنَّ العنصرَ نفسَه قد تُـجمَع عليه عقوبتان على فِعلَين مختلفين، أي قد تُفرَض على العنصر عقوبةٌ لها علاقة بالمخدرات وأخرى لها علاقة بفعلٍ آخر في نفس الوقت.

17- ناتالي إيكانو، "العقوبات الأوروبية الجديدة تستهدف مُهرِّبي المخدِّرات من نظام الأسد" (بالإنجليزية)، الموقع الإلكتروني لمؤسسة الدفاع عن الديمقراطيات، 26 أبريل/نيسان 2023، https://www.fdd.org/analysis/2023/04/26/new-european-sanctions-target-assad-regime-narco-traffickers/، وَلَجْـنَا إلى الرابط في 1 يونيو/حزيران 2023.

18- "حسام القاطرجي"، OpenSanctions.org، 28 سبتمبر/أيلول 2022، https://www.opensanctions.org/entities/NK-PWU43vVQrJskXs8gXVkaBH/.

19- إيكانو، "العقوبات الأوروبية الجديدة تستهدف مُهرِّبي المخدِّرات من نظام الأسد".

20- "نوح زعيتر"، OpenSanctions.org، 28 مارس/آذار 2023، https://www.opensanctions.org/entities/NK-eS5hNUoxzHb9u4e5T8PSbs/، وَلَجْـنَا إلى الرابط في 1 يونيو/حزيران 2023.

21- "حسن محمد دقّو"، OpenSanctions.org، 28 مارس/آذار 2023، https://www.opensanctions.org/entities/NK-agaRKWtyPdgGfLK8v67bRr/، وَلَجْـنَا إلى الرابط في 1 يونيو/حزيران 2023.

22- "لؤي العلي"، OpenSanctions.org، 15 نوفمبر/تشرين الثاني 2011، https://www.opensanctions.org/entities/NK-KL3dUnws5wCf7saseAJgMJ/، ولجنا إلى الرابط في 1 يونيو/حزيران 2023.

23- أحمد عيد عاشور وآخرون، "مداهمة الكبتاغون في اليونان تقود إلى عصابة إجرامية، والميناء في قلب تجارة المخدرات التي تزدهر في سوريا" (بالإنجليزية)، مؤسسة مكافحة الجريمة المنظمة والفساد، 16 يونيو/حزيران 2021، https://www.occrp.org/en/investigations/greek-captagon-bust-leads-to-a-criminal-gang-and-the-port-at-the-heart-of-syrias-booming-new-drug-trade، وَلَجْـنَا إلى الرابط في 1 يونيو/حزيران 2023.

24- عاشور وآخرون، "مداهمة الكبتاغون في اليونان تقود إلى عصابة إجرامية، والميناء في قلب تجارة المخدرات التي تزدهر في سوريا".

على صعيدٍ آخر، فرضت الولاياتُ المتحدة وحدها العقوباتِ على 10 عُقَدٍ. ومنهم غياث دلا، قائد اللواء 42 قوات خاصة من ألوية الفرقة الرابعة،[25] كتائب حزب الله في العراق،[26] ولواء فاطميون.[27]

على أنه ينبغي لسُلطات فرضِ العقوبات في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة والاتحاد الأوروبي أن توائم قدرَ الإمكان بين قوائمها وإعلاناتها لفرض العقوبات، من أجل تعظيم أثرها وتقليل الاختلافات والحَدِّ من التملُّصِ من هذه العقوبات ضمن مناطق نُفوذهم.

باستعراض مُجمَل الشبكة والأدوار المُحدَّدة التي يَشغلُها كلُّ فاعلٍ، يُصبِح السؤالُ مُلِحًّا: مَن هم الأشخاص والكيانات المِفصَلية التي لم تُدرَج بعدُ في قوائم العقوبات؟

وبما أنَّ شبكةَ عرض المخدِّرات في سوريا لها بِنيةٌ متراخية وحُـرَّة، فذلك يعني أنها قادرةٌ على التكـيُّف ومنيعةٌ حيال محاولات الاستهداف العشوائي (غير المُمنهَج). وفي هذا الصدد، "فالشبكات التي تَـتَّسِمُ بالفاعلية ليست جِدُّ متقاربة ولا جِدُّ مُتـراخية، لا هي بالمركزية جدًّا ولا باللامركزية جدًّا، ولكنها وسطٌ بين كُلِّ ذلك من المتـطرِّفات".[28]

بَيْدَ أنَّ انتـقاءَ الأهداف واستهدافَ بُنًى وأدوارٍ شبكيةٍ مُحدَّدة من وسط أصناف الفاعلين المختلفة، يمكن أن يؤدي إلى إعطاب الشبكة عطبًا شديدًا. وفي الوُسع وَضعُ ذلك موضع التنفيذ، بالتدارس اليَسير للأهداف وبمَعونة الخوارزميات الشبكية من أجل تحديد المستهدَفين بالعقوبات أو الذين يُراد إبعادهم عن الشبكة سَعيًا لإيقاع أفدح أثر. وعليه، ينبغي لراسِمي السياسات أن يَرقُبوا الطبيعةَ المنتـظِمة لهذه الشبكات ويَستهدفوا الفاعلين ذوي بعض الأدوار الشبكية المُحدَّدة. وبالنظر بعَينِ خوارزمية الرسم الشبكي، فإنه يمكن حِساب الدورَين الشبكيَّين اللذَين بُسِطَا في القسم 4.2 (مفاتيح ربط الحدود وسماسرة المعلومات/الإمداد والتجهيز) واستعمال الدور الأول (مفتاح ربط الحدود) كـ"مقياس رصد"، والدور الثاني (سمسار المعلومات/سمسار الإمداد والتجهيز) كـ"مقياس استهداف".

رغمَ أنَّ العقوباتِ قد تُعِين على دفع الفاعلين المستقبلِـيِّين للإحجام عن دخول هذا القطاع، إلا أنها لا يمكن أن تَنالَ من شبكات المخدرات، إلا لو وُظِّفَتْ جنبًا إلى جنبٍ مع أدوات الضغط الأخرى. ينبغي أن تكون العقوباتُ جزءًا فقط من سياسةٍ أشمل ترمي إلى ترك أثرٍ مُجْدٍ (طالِع قسم التوصيات).

25- "العقوبات على سوريا – وزارة الخارجية الأمريكية" (بالإنجليزية)، وزارة الخارجية الأمريكية، 1 ديسمبر/كانون الأول 2020، https://2017-2021.state.gov/syria-sanctions-designations-2/index.html، وَلَجْـنَا إلى الرابط في 1 يونيو/حزيران 2023.

26- "الولايات المتحدة تفرض عقوبات على أذرع إيران في العراق" (بالإنجليزية)، ذا إيران برايمر، 3 أكتوبر/تشرين الأول 2019، https://iranprimer.usip.org/blog/2019/mar/05/us-sanctions-iranian-proxies-iraq، وَلَجْـنَا إلى الرابط في 1 يونيو/حزيران 2023.

27- "لواء فاطميون"، OpenSanctions.org، 21 يونيو/حزيران 2019، https://www.opensanctions.org/entities/NK-3WKG6Wixe9FmZo8zYvKhBJ/، وَلَجْـنَا إلى الرابط في 1 يونيو/حزيران 2023.

28- شون ف إفرتون، تعطيل الشبكات المظلمة (بالإنجليزية: نيويورك: مطبعة جامعة كامبريدج، 2012) الصفحة 167.

تتكفل توزيعاتُ القوى في الشبكة باستدامةِ وتعزيز صُمودها؛ لا بد من أخذ ذلك في الاعتبار خلال وعقب فرض العقوبات. لا بُدَّ من المراجعة المستمرة للعقوبات وتكييفها ما مع يطرأ، حسب التالي:

- **التـنظيم الذاتي:** عندما تستهدف العقوباتُ كيانًا وشبكتَه الفرعية، يبقى المجالُ مفتوحًا لنُموِّ شبكاتٍ فرعية أخرى لتَملأ الفراغات. قد تكون هذه الشبكات شبكاتٍ دائمة، أو مؤقتة وقائمة لغرضٍ ما، كإنتاج تحالفاتٍ مُتحرِّكة، أو اندماج، أو انبـثاق.
- **التشكيل المُتعمَّد:** وبعض الشبكات يُحدِّد تشكيلها طبيعةَ النشاط الذي تقوم به، وقد وُضِعت على هيئةٍ واضحة بتَوزُّعٍ في المسؤوليات وتَدرُّجٍ في السلطة وحَوكمةٍ لأداء وظائفَ معينة بعد أن شَلَّتِ العقوباتُ شبكاتٍ حيويةً أخرى.
- **تنشيط الروابط الضعيفة:** من الشائع جِدًّا في عالم الشبكات الإجرامية السِّرية أن تُنشَّط الروابطُ الضعيفة مع الآخرين من أعضاء الشبكة الأكبر عندما تُستهدَف الشبكةُ الفرعية. والروابط الضعيفة هي علاقاتُ المرء المُتباعِدة مع معارفه. تُصبِح هذه العلاقات جُسورًا حيويةً عند الشدائد وتُعين على وَصْلِ الشبكة الفرعية المُستهدَفة (الخلية النائمة مثلًا) بكُتلِ الشبكة الأكبر.

وبمنأًى عن هذه التوازنات، أسبغَ هذا البحثُ أهميةً على النظر في الثقافة الناشئة، والمزايا، ومنظومات القِيَم التي يَحملُها الفاعلون ضمن هذه الشبكات. هل تمُدُّ الصِّلات على أساس الاحترام والولاء؟ أم على مجرد الطَّمع والرغبة في الثراء؟ أم لعله التطلُّع إلى مكاسبَ سياسية؟ ما مدى تجذر الصِّلات الشبكية في روابطَ وجدانيةٍ غير رسمية، مثل التي بين أفراد الأسرة، والعِرق، والطائفة؟ الحصولُ على أجوبةٍ لهذه الأسئلة مهمٌّ قبل وضع أيِّ سياسةٍ للاستهداف الانتـقائي لعُقَدِ الشبكة، حيث يتصور الباحثون أنْ تنطوي استجابةُ الشبكة على مجموعةٍ كبيرة من رَدَّاتِ الفِعل اللاعُنفِـيَّة.[29-30]

4.4 مركزية بشار الأسد

عند تحليلنا بيانات المَضبوطات، ظهر أنَّ أكثـرَ المخدرات في المناطق العربية من آسيا جاءتْ من مناطق النظام في سوريا (الشكل 3)، أمَّا القسمُ 4 فأوضحَ أنَّ الكياناتِ التي تَنتسِبُ إلى نظام الأسد أو ترتبط ارتباطًا وثيقًا به تلعبُ أدورًا عديدة في شبكات العرض (إنتاج، تهريب، وتوزيع). ولكن ما دور بشار الأسد؟

يكشف تحليلُ الشبكة أنَّ أكبـرَ أربعةِ مَحاوِرَ هي الفرقة الرابعة المدرعة، وحزب الله اللبناني، وقوات الدفاع الوطني، وشعبة الاستخبارات العسكرية. باستثناء حزب الله الذي يُنسِّق بشكلٍ وثيق على الأرض مع الفرقة الرابعة المدرعة والتي يرأسها شقيق بشار الأسد، ماهر،[31] فإن الكياناتِ الثلاثةَ الأخرى تتبعُ مباشرةً للرئيس، مما يجعلُه الفاعِلَ الأكثر تأثيرًا في الشبكة؛ مما يؤكد مرةً أخرى على ما طرَحناه من أنَّ الشبكةَ غير مركزيةٍ ولا يوجَـد فيها ترتيبٌ واضحٌ للسُّلطات.

بل إنَّ هذا البحثَ يكشفُ أنَّ تسعةً من الأشخاص في شبكة العرض أقاربُ لبشار، وأربعةً منهم قد سبقَ فرضُ عقوباتٍ عليهم بواسطة دولةٍ غربية واحدةٍ على الأقل أو أكثر: وهم ماهر الأسد، وسامر الأسد، ووسيم الأسد، ورامي مخلوف.

يَسُنُّ القانونُ السوريُّ عقوباتٍ قاسيةً على الذين يَصنعون، ويُهرِّبون، ويُوزِّعون المخدرات، تصلُ إلى الإعدام. ويُطبَّق ذلك خاصةً على العاملين في الدولة المُكـلَّفين بمكافحة تجارة المخدرات.[32] ومع ذلك، فزعماء العصابات والوسطاء، مَدنـيِّين كانوا أم مُوظَّـفي دولة، أقارب للأسد أم لا، يَجوبونَ البلاد مع إفلاتٍ شبه كاملٍ من العقاب. بضَبطِ المخدرات الاستعراضي الذي يُجرَى في مناطق سيطرة النظام في سوريا، والاعتقال للفاعلين الهامشيِّين فقط، تتجلَّى حمايةُ ورعاية الأسد لتجارة المخدرات كواقعٍ واضحٍ وليس كخاطرةٍ عابرة.

29- جورج بوب، "تكتيكات القوة البدنية والقوة غير البدنية للقوى المتنافسة خلال العقد المقبل" (بالإنجليزية)، PDF، شركة إن إس آي، سبتمبر/أيلول 2019، https://nsiteam.com/social/wp-content/uploads/2019/09/Future-of-Global-Competition-and-Conflict-ViTTa-Q2-Report_final.pdf.

30- يُقصَد بمصطلح حِيل القوة غير البدنية (non-kinetic tactics) ما يُوظَّف من حيلٍ وأساليبَ لا تَستخدِمُ القوةَ الفيزيائية، وإنما القوة الناعمة وغير المباشرة (المترجم).

31- أنصار شحّود ومهند أبو الحصن، "سوريا الدولة الموازية: الفرقة الرابعة" (بالإنجليزية)، معهد نيو لاينز، مارس/آذار 2023، https://newlinesinstitute.org/wp-content/uploads/20230328-Intel-Briefing-4th-Division-NLISAP.pdf.

32- مجلس الشعب السوري، "القانون 2 لعام 1993: قانون المخدرات"، حكومة الجمهورية العربية السورية، http://www.parliament.gov.sy/arabic/index.php?node=5584&cat=6011.

5. تداعِـياتٌ اقتـصادية وسياسية

تُصعِّب عواملُ عديدة علينا أن نُقدِّر قيمةَ تجارة الكبتاغون (القيمة السوقية للحبوب المستهلكة)، فبياناتُ الاستهلاك في المنطقة شحيحة، نظرًا للإحساس بالعار الذي يَجلِـبُه تعاطي المخدرات، والتمويل البحثي المحدود، والافتـقار إلى الشفافية الحكومية. ثم إن الكمياتِ المُصادَرة في البلدان المختلفة لا تُعلَن إلى العامَّة دومًا، ولو أعلِـنَتْ فهي مؤشِّـرٌ رديء على الاستهلاك.[33]

بخلاف التقديرات السابقة، يُركِّز هذا البحثُ على الرِّيع الذي يَجنيه نظام الأسد والفاعلون اللبنانيون، وليس على القيمة السوقية، وذلك من أجل استنباط التداعيات الاقتصادية السياسية على المنطقة. وفي حين أن تقديرَ القيمة السوقية صَعب، فإن تقديرَ الربحِ أصعَب. فتكاليف التصنيع قليلةٌ لا تكاد تُذكَر، ويُدلِّل على ذلك سعر البيع في الدول المُصنِّعة والذي يبلغ أقل من نصف دولارٍ للحبة. أما تقدير كُـلَـفِ التهريب والتوزيع فهو صعبٌ للغاية.[34]

وبالنظر في كثيرٍ مما لا يمكن التيقنُ منه، فإن تقديرَ حدودٍ عُليا ودُنيا للرِّبحية يصير الخيار الأمثل. وقد طبقَ الباحثون هذه الطريقة على ثلاثة أعوام مجتمعة، من عام 2020 إلى 2022، من أجل تقليلِ أثر القِيَمِ المُتـطرفة في الأسعار والكميات المصادَرة المُسجلَين في البيانات السنوية.

إن الدمجَ والتوفيقَ بين قاعدتيَ بيانات المضبوطات الفردية والمضبوطات المُجمَلة (طالِع القسم 2.1) يُرينا أن 1,042,015,086 حبة قد ضُبطَتْ في الدول العربية الآسيوية أو في الطريق إليها أو خارجة منها، خلال المدة محلِّ الدراسة (2020-2022). في ضوء القسم 3.3، افترضنا أن نظامَ الأسد والفاعلين اللبنانيين مَسؤولون عن عرض 86% من الكبتاغون المُستهلَك في المناطق العربية من آسيا. وقد افترضنا أن كُلفةَ تصنيع حبةٍ في هذه المدة قد بلغتْ 0.20 دولار، وهو ما يقلُّ قليلًا عن نصف سعر بيع الحبوب (المُسلَّم بأنها رديئة لا جيدة) في السوق السوري. أخيرًا، فقد حسبنا بناءً على عدة منشوراتٍ وإعلاناتِ ضبطيات أن متوسطَ سعر حبة الكبتاغون خارج سوريا ولبنان خلال 2020-2022 يبلغ 8.06 دولار.

في ضوء هذه الافتراضات، فإن نطاقَ الأرباح المُحتسَبة تَحدُّه الفرضياتُ التالية:

- إما أنَّ نظامَ الأسد والفاعلين اللبنانيين يَضطلعون بكامل سلسلة العرض _شاملة التصنيع، والتهريب، والتوزيع في الأسواق المحلية للبلدان العربية الآسيوية_ أو أنهم يَضطلعون بالتصنيع فقط.
- إما أنَّ كمياتِ الكبتاغون المُستهلكة والمَضبوطة مُتساويـتان، أو أنَّ ثَلاثةَ أضعاف الكمية المضبوطة يصلُ إلى المستهلكين النهائـيِّين.[35]

33- إذا ما زادت مُصادَرات الدولة من المخدرات بمرور الوقت، فهل ينبغي أن نَعزو ذلك إلى تَحسُّن قدرتها على اعتراض الشحنات أم إلى زيادةٍ في شحنات المخدرات القادمة مع ثبات قدرتها على الاعتراض؟ وعلى نفس المنوال، لو حازت دولتان نفسَ القدر في إحدى الأعوام، فهل هذا يعني أن مستوى الاستهلاك في الدولتين مُتماثل؟ أم أن سوقَ إحداهما أكبر حجمًا لكن قدرتها على الاعتراض للشحنات أضعف؟

34- "إدارة مكافحة المخدرات تضبط نصف طن حبوب كبتاغون بقيمة 1.5 مليار ليرة"، موقع الإعلام تايم الإخباري، 18 فبراير/شباط 2020، http://www.emediatc.com/?page=Details&category_id=10&id=69361&lang=ar.

35- للتوضيح، افتراضُ أن ثلاثةَ أضعاف الكمية المضبوطة يصلُ إلى المستهلكين النهائيِّين في السعودية، يعني أن قرابةَ 300 مليون حبة قد استُهلِكَتْ هناك في عام 2022 وحده. في عام 2018، صرَّحتْ وزارةُ الصحة بأن هناك 200,000 مُدمِنٍ في البلاد. ذكرتْ مصادرُ أخرى أن 40% من المُدمنين يَتعاطون المخدرات الأمفيتامينية (الكبتاغون). وعليه، افترَضنا أن عددَ المُدمنين تضاعفَ في عام 2022 (أي 400,000 مدمن)، وأنَّ كُلَّ مُدمِنٍ يتعاطى 5 حبات يوميًا.
أظهرتْ البحوثُ الميدانيةُ أن هذا حَدٌّ أعلى معقولٌ لاستهلاك المدمنين. يُنـظَر إلى هذا الرقم كحَدٍّ أعلى كذلك لأن تعاطي 5 حبات يوميًّا يُكلِّف حوالي 4,200 ريال في الشهر، إذا كان متوسط سعر الحبة 28 ريالاً (8 دولارات)، وهذا ثُلث الدخل الوسطيِّ لعائلةٍ كاملة.
المصادر: افتراض أن 40% من المدمنين في السعودية يتعاطون الكبتاغون أخذناه نقلاً عن أنشل فورا، "السعودية عاصمة المخدرات في الشرق الأوسط: رغم القوانين الصارمة، فإن الاقتصاد الأكبر في المنطقة مدمن على الأمفيتامينات" (بالإنجليزية)، فورين بوليسي، 20 ديسمبر/كانون الأول 2021، https://bit.ly/3A3UaFh، وَلَجْنَا إلى الرابط في 17 أبريل/نيسان 2023.
"وطن بلا مخدرات: الحملة السعودية الأكبر ضد مخدر الشبو"، الخليج الجديد، 14 مايو/أيار 2023، https://thenewkhalij.news/article/294962، وَلَجْنَا إلى الرابط في 17 أبريل/نيسان 2023.
متوسط دخل الأسرة في السعودية (بالإنجليزية)، https://www.ceicdata.com/en/saudi-arabia/average-monthly-income/average-monthly-income-family، ولجنا إلى الرابط في 19 أبريل/نيسان 2023.

	نظام الأسد والفاعلون اللبنانيون يَضطلعون بكامل سلسلة العرض، من التصنيع المَحليِّ حتى التوصيل إلى المستهلكين النهائيين	نظام الأسد والفاعلون اللبنانيون يضطلعون بالتصنيع فقط
تُعادِلُ كميات الكبتاغون التي تصل إلى أسواق المستهلكين الكميات المضبوطة	7,043,605,175 دولارًا	259,878,562 دولارًا
يصل ما قدره ثلاثة أضعاف الكميات المضبوطة إلى المستهلكين النهائيين.	21,130,815,526 دولارًا	779,635,687 دولارًا

إن النطاقَ العريض للتقديرات مؤشرٌ على قلة اليقين الذي يُحيط باقتصاديات الكبتاغون عمومًا. نُقدِّر من الجدول أعلاه أنَّ ريعَ الكبتاغون الذي يَجنيه الفاعلون في مناطق النظام في سوريا وفي لبنان متوسطه 7.3 مليار دولار أمريكي في الفترة من 2020-2022 (2.4 مليار دولار للعام الواحد).

تبدو أسبابُ خطأ تـقدير المتوسط المذكور هنا متكافئةً بين ما يجعل القيمةَ الحقيقية أعلى أو أخفض مما تم تقديره. حيث أن التقديراتِ افترضَتِ انعدامَ تكاليف التهريب من بلدانِ التصنيع إلى بلدان الاستهلاك، بما فيها تكاليف الحبوب المضبوطة. في المقابل، فإن الكثيرَ من البراهين تُدلِّل على أن المنتسبين للنظام متورطون كل التورط في عمليات التهريب، ولذا يُحتمل أنهم يقبضون ما هو أعلى من الثمن المضروب للحبة الواحدة في السوق المحلية.

حتى تقديراتنا التي تُقارِب الحدَّ الأدنى من الربح المُكتسَب، تكشف عَظمةَ الدور الاقتصادي والسياسي للكبتاغون في سوريا اليوم. فمقارَنةً بالتقدير الوسطيِّ البالغ 2.4 مليار دولار في السنة من الأرباح، فإن إيراداتِ الدولة السورية المتوقعة في عام 2023 من الضرائب والمكوس، تبلغ مجتمعةً 0.7 مليار دولار.[36] في حين أن الميزانيةَ المُجمَلة لعام 2023 تبلغ 2.3 مليار دولار، وهي تشمل الإنفاقَ العام من المال المطبوع لـتَغطية العجز.

بيد أنَّ الأرباحَ المَجـنِيَّةَ من هذا القطاع لا تؤول كلها إلى رأس النظام، ولا إلى خزينة الدولة التي لا يُرجَّح أن يصلَ إلى يدَيها شيء منها على الإطلاق. رغم الدلائل المُتراكمة على رعاية الأسد لتجارة المخدرات، يُرجَّح أن حصةً عظيمة تكون من نصيب الفاعلين على الأرض لـتَعويضهم عَمَّا يُقاسونه من مخاطر. ومع ذلك فهذه التجارة تَخدمُ مصالحَ النظام، فهؤلاء الضالعون بعَرض المخدرات يَغتـنون بمعونةِ أجهزة الأمن التي يَدعمُها النظام، وهم أيضًا يَحمون النظام لأن وجودَهم _في ذاته_ يعتمد عليه. فأيُّ تهديدٍ للنظام تهديدٌ مباشرٌ لتجارتهم.

بينما يتدافع العالمُ للتصدِّي لأزمة الكبتاغون، وتُفكِّر الدولُ المُستهلكة مَليًّا في تطبيع علاقاتها مع نظام الأسد بشرط أن يُضيِّق الخِناقَ على شبكات إنتاج وتهريب المخدرات،[37] لم يَتـفَوَّه الأسدُ قَطُّ بكلمة "كبتاغون". فالرواية الحكومية تُروِّجُ باستمرارٍ أن المنطقةَ تحت سيطرة النظام ليست سوى طريق عبور للمخدرات، أما الإنتاج فيحدث في "المناطق التي يُسيطر عليها الإرهابيون" فقط. الأسد، والذي يُرجَّح أنه غير مُحيطٍ بكُلِّ تفاصيل تجارة المخدرات، يُحقِّق أهدافًا ثلاثة برعايتها: فهو أولًا يُبقي النظام واقفًا على قدميه اقتصاديًّا، وثانيًا هو يشتري ولاء مُصنِّعي المخدرات الأقوياء، وثالثًا فهو يضغط للحصول على تنازلاتٍ سياسية من الدول المستهلكة. لا بُدَّ أن تأخذَ الاستجاباتُ السياسية المستقبلية لأزمة المخدرات المتفاقمة في الدول العربية الآسيوية هذه المسائلَ في الحسبان.

36- يُتوقَّع أن تبلغَ الإيرادات من الضرائب والمكوس عام 2023 ما قدره حوالي 5.1 تريليون ليرة سورية بمتوسط سعر صرف للسوق السوداء قدره 7,088 من 1 يناير/كانون الثاني 2023 إلى 20 أبريل/نيسان 2023. بيانات أسعار صرف السوق السوداء مستقاة من http://www.karamshaar.com/exchange-rates.

37- "حديث عن نية السعودية دعوة الأسد للقمة العربية. فهل يبتعد في المقابل عن إيران، وماذا عن ملف المعارضة؟"، عربي بوست، 4 مارس/آذار 2023، https://arabicpost.net/%d8%aa%d8%ad%d9%84%d9%8a%d9%84%d8%a7%d8%aa/2023/04/03/%d8%a7%d9%84%d8%b3%d8%b9%d9%88%d8%af%d9%8a%d8%a9-%d9%88%d8%b3%d9%88%d8%b1%d9%8a%d8%a7/.

تُظهِر خريطةُ منظومة المخدرات لقاعدة البيانات الشبكية مركزيةَ بشار الأسد وحقيقةَ أنه لا يُوجَد تنافسٌ أو تصارعٌ مُحتدِم بين الأطراف الفاعِلة الرئيسية (فلا عصابات ذائعة الصيت ولا تصارع بينها). قد تقع مناوشاتٌ عارِضة، وقد وقعت بالفعل، كالاقتِتال بين جماعتَين على المخدرات في القرداحة،[38] واعتقال عضوين في عصابةِ مخدراتٍ في ريف حمص منذ عهدٍ قريب والذي أفضى إلى هجوم العصابة على مخفر شرطة في تلبيسة. إلا أنه ورغم هذه المناوشات، لا مؤشرات على بروز عصابةٍ كُبرى (كارتل) منافسة تُنازع الأسدَ سيادتَه. تُتيح هذه الحقيقةُ فرصةً حاسمة لتَقويض منظومة المخدرات، بالنظر إلى مركزية بشار الأسد.

على الاستِجابات السياسية المستقبلية أن تستحضرَ ذلك، وتُفكِّر بمَجرى مستقبليٍّ للأحداث تُقدِّم فيه الدولُ بعضَ التنازلات لبشار من أجل أن يُفكّك منظومةَ المخدرات. سيدفع ذلك المُستفيدين الآخرين من شبكة عرض المخدرات للمُقاومة والثأر. قد يقضي النظامُ عليهم بالقوة أو يسمحُ لهم بالنموِّ بطريقةٍ لا مركزية. بل بُوسع بشار الأسد أن يُوظِّف ذلك لصالحه ليستمر باستِنزاف الدعم العالمي، مُدَّعِيًا أنه يُحاول قطعَ الإمداد عن طريق تنفيذ ضبطياتٍ استعراضية واعتقالاتٍ لصغار الفاعلين، في حين يترك لشبكة المخدرات الحبلَ على الغارِب لتَنمو.

الافتقارُ إلى التدابير المناسبة قد يُفضي للأسف إلى مجرياتٍ كارثية في المستقبل القريب. في الوقت الذي تَشِبُّ المنظومةُ فيه عن الطَّوقِ وتمضي بلا مُهاودةٍ لها من الداخل أو الخارج، قد تَبرزُ عصاباتٌ أو تنافساتٌ جديدة. يصعب التنبؤ باللحظة الفارِقة التي ستُعجِّل من انتقال المنظومة إلى طورٍ عُمرِيٍّ جديد يُصبح فيه تعددُ أقطاب الفاعلين واقعًا. إلا أنه توجدُ بِضعُ مؤشراتٍ وتوازناتٍ قُوًى يمكن أن تُعين على تحديد الانتقالات السريعة، ومنها: ارتفاع عدد التحالفات غير التقليدية، والانتقال إلى تكتلاتٍ أكثر تقارُبًا ومجتمعات وثيقة الصِّلات، والمساعي الناجحة من فاعلين صغار مُشتغلين بإقامة المشاريع لأن يَبرزوا وينالوا حصةً في السوق باستخدام مراكز قوى إمداد وتجهيز وتوزيع جديدة. أثناء هذا الانتقال المُحتمَل، ستكون المنظومةُ أشبهَ بسوقٍ مفتوح. غَنِيٌّ عن الذكر أنَّ العنفَ قد يتصعَّد ويتبدَّل في أشكاله خلال هذه التنافسات الصِّفرية[39] بين الأطراف، وسوف تأكل السمكةُ الكبيرة تلك الصغيرة، وكما هو الحال لدى مافيات وعصابات مخدرات كثيرة من مومباي إلى المكسيك، فإنَّ كُلَّ عصابةٍ ستَسعى لإبراز نفسها بأساليبها الخاصة في العنف وحِيَلِ الإقصاء.

38- "القرداحة حافلة بالشائعات على منصات التواصل... فما قصة الفوضى الأمنية في القرداحة معقل الأسد؟"، ميديانا، أبريل/نيسان 2023. https://2u.pw/WFayGEE

39- اللعبُ الصِّفريُّ، هو ما يُوصَف بالإنجليزية بأنه zero-sum game، يعني بأنَّ خسائرَ طرفٍ في اللعبة ستبلغُ ذات المقدار الذي يَربحُه الطرف الآخر، ولذا يكون المجموع صِفرًا بعد طرح مقدار الخسارة من مقدار الفوز. في اللعب الصِّفري لا تكسبُ كلُّ الأطراف win-win (المترجم).

6. الخُلاصة

ما دعانا إلى إعداد التقرير هو التسارع المُرِيع لأزمة الكبتاغون في الدول العربية الآسيوية، وما وجَدناه من نقصٍ في الدراسات عن هذا الموضوع. من الأهمية بمكان أن نَجبُـرَ أوجه النقص هذه؛ فالكبتاغون وشبكات التهريب التي تُساعِد على إنتاجه وبَيـعِه واستهلاكه يَستشرِيان في المنطقة. وهو ما يَظهر جَلِـيًّا، في سوريا الأسد، وبدرجةٍ أقل في لبنان، ودورهما المُزعزِع للمنطقة. لهذا السبب فإن الباحثين يأملون أن تُسلِّط هذه البياناتُ والتحليلاتُ الضوءَ على المشكلة.

اعتمدتْ منهجيةُ التقرير على جمع البيانات من أجل بناء قاعدتيَ بياناتٍ أساسِيَّـتَين. لخَّصتْ قاعدةُ بيانات المضبوطات حيازاتِ المخدرات التي خرجَتْ من دولٍ عربية آسيوية أو انتقلَتْ عبرها أو وصلَتْ إليها، بين الأعوام 2016 و2022. أما قاعدةُ البيانات الشبكية فرسمَتْ خريطةً للفاعلين الضالعين بعرض المخدرات من سوريا ولبنان. ساعدَتْ قاعدتا البيانات بشكلٍ أصيلٍ في جبر النقص في الدراسات السابقة التي حدَّتْ من مقدرة صانِـعي السياسات على إعادة التفكير في كيفية التصدي لأزمة الكبتاغون.

أزمةُ المُخدِّرات المُتفاقِمَة في الشرق الأوسط ودَورُ نظامِ الأسَد

مرصد الشبكات السياسية والاقتصادية

البرنامج السوري

oopensyr

مرصد الشبكات السياسية والاقتصادية 2023 © جميع الحقوق محفوظة